

# المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقلاً

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها المسؤول  
أحمد حسن الزيات

البريد

شارع الساحة رقم ٢٩  
القاهرة

تليغراف رقم ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد الخامس القاهرة في يوم الأربعاء ١٩ ذو القعدة ١٣٥١ - ١٥ مارس ١٩٣٣ السنة الأولى

## بين السوامر والصحف

أسير الجهاد :

بين عشية وضحاها نزل صديقنا الأستاذ محمد توفيق دياب من قصر صاحبة الجلالة الصحافة إلى سجن الأربعين من سلاب الأموال وقتلة الأنفس ، لأنه رأى رأياً في سياسة هذا البلد عن اخلاص وعقيدة فلم يقره عليه القانون القائم . وحاولت صاحبة الجلالة أن تنصه من أمر القضاء بالرحمة ، ومن تنفيذ الحكم — بالعفو ، ومن قسوة التنفيذ بالرجاء . فما رجعت بطائل . وظهر أن جلالة الصحافة كجلالة الحسن : رواء في العين ، ولا سلطان في الدين !

إننا نؤمن بمدالة القضاء كما نؤمن بحكمة القدر : ولكن في السجن

## فهرس العدد

- ١ بين السوامر والصحف
- ٢ التردد : لأحمد حسن الزيات
- ٣ زبانا التمدد : للأستاذ أحمد أمين
- ٤ اسكتدر بطل صديقه : الدكتور عبدالوهاب عزام
- ٥ جمع الجذور وملتق الأوزان : الدكتور محمد عوض
- ٦ غلطة برجين : للأستاذ ذكي نجيب محمود
- ٧ ابن خلدون : للأستاذ أحمد عبد الله حنان
- ٨ أثر الفقه العربية في العالم الإسلامي : الدكتور يوسف
- ٩ موسى بن شاكر : للأستاذ فخرى حافظ طرقات
- ١٠ مائة غريب : للأستاذ محمد الحقيف
- ١١ في القيل : أمين بريت المعين
- ١٢ الله وراء كل شيء : عبد الحفي المشاوي
- ١٣ طرقات في الأدب القاري : الدكتور عزام
- ١٤ الآداب الياباني : للأستاذ أحمد فتحي
- ١٥ قصة فيلسوف عاشق : الدكتور طه حسين
- ١٦ الرواية : محمد كوكبا
- ١٧ غيرة : محمود محمد منتصر
- ١٨ أسرار كبر في السلام
- ١٩ الاقتدار الموهبة الواحدة : الدكتور سامي كمال
- ٢٠ بحث معاصراً في الترميز : الدكتور محمد فوزي
- ٢١ شاعر غريب : للأستاذ محمد أحمد القسري
- ٢٢ المازة : الكاتب الروسي اسكتدر بوشكين
- ٢٣ فتح العرب لمصر : للأستاذ عبد الحميد الباعدي
- ٢٤ من الإسلام : محمود أبو ربه
- ٢٥ الميام : م . ع . م

طبعة ١٩٣٣ ، ٢٩ شارع المديح بالقاهرة

الموحنس المظلم فرجة قد ادخرها القانون لصحايا العدل : فإذا لم تنس لأمثال دياب فلن تنس ؟ أن الكاتب الذي يحرق عنه وعصيه ليضى الطارق لشعبه ، ويفضى حيوية قومه بعصارة عقله وقلبه ، ولا يتنى من وراء جهاده غير مرضات وطنه وربه ، لجدير باحتيال قسوته إذا قسا ، واعتقار زلته إذا نزل .

إن خطأ الاجتهاد في الرأي لا يعتبر جريمة إلا في اصطلاح القانون الذي نسته الحكومات له ، فإذا ما انتسعت الصدور ، أو تبدلت الأمور ، عاد العمل بالقول المأثور : للجتهاد أجران إذا أصاب ، وأجران إذا أخطأ . فإذا كانت جريمة الأستاذ دياب من النوع الذي يجرم هنا ويحل هناك ، ويوجب العقوبة اليوم ويقضى المثوية غداً ، فإن شديداً على الضمير

أن يعامل في مسجته معاملة الجناة والعصاة . فيعيش في غير شكله ، ويشغل في غير شغله ، ثم يحرم لذة الجسم فلا يسترخ ، ومُتعة الروح فلا يقرأ ، وحق المريض فلا يعالج .

ورس في الامانة :

زار صاحب الجلالة الاطالية واديبا الحبيب فحلا في برعه حلول السعادة ، ونزلا من أهله منزل الاجلال ، وأفاضوا على عاصته وصعيده غمراً من سراوة الملك ، ونبالة الخلق ، ثم اختصا فقراء الاسكندرية بقرابة الف جنيه على ماروى المقطم ، فكان هذا العطف السامي موضعاً للتفسير والتأويل ، ومثالا لاختلاف العقول في الاستنباط والتعليل ، فمن قائل إن صاحب الجلالة أراد تعميم الاحسان في أجناس بني الانسان ، والاسكندرية شبه دولية ، ومن قائل إنه أراد تخصيصه ، وكثرة الجالية الاطالية ، تنزل ويوع الاسكندرية . والامر في كلتا الحالين مثل في شرف الغاية ، لأن مبعث التعميم عاطفة الانسانية ، ومبعث التخصيص عاطفة الوطنية .

كهدم طرآنى :

ذكرنا في معرض الكلام عن ألحوب الأستاذ محمد بك مسعود أنه ( منذ توفر علم محاكاة الأستاذ وحيد في تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروبة في تمحيص التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أغراض القراءة التي تلامر اللغويين ، والاعتناء الذي يساور العلماء )

وهذا الكلام كما ترى نزيه القصد يرى الدلالة . ولكن الأستاذ وحيداً وريث السجّاج ، وخليفة الزجاج قد طوع نفسه أن يرد عليه في الأهرام بهذا الرد فقال : جاء في مقال للأستاذ الكبير المفضل محمد مسعود هذا اللفظ : طرآنى ، فقال له كاتب في صحيفة أعربت في الكلام إغراب وحيد وشيخ العروبة ( يعنى برهان العلم والأدب احمد زكى باشا )

• وإني أقول للكاتب الذي رأى القارئون عدوته — بفتح العين واسكان الدال — ليس الطرآنى من غرائب

الكلام . وكفى قول له أنك تراه من بلاغة اللغة في كتاب الزمخشري . أساس البلاغة . الذي قيل فيه : ومن خصائص هذا الكتاب تحير ما وقع في عبارات المدعين . قال الأمام الزمخشري في أساس البلاغة : رجل طرآنى . وحام طرآنى . لا يدري من أين جاء . وكلام طرآنى الخ .

• اجزى ، بقولى لكاتب . ذى عدوه . ماقاله الاعرابى : ليس هذا بنريب ولكنكم في الأدب غرباء . وعن بقولى في دورنا للأستاذ الجليل : لقد اغربتم فلم صهم . وأضحوا فلم تفهموا . فاذا كنا في الأدب غرباء ، فأتم في اللغة دعاء . أليس كذلك ؟

وهذا أيضاً !

أخذ صديقنا الأستاذ احمد أمين على بعض كتابنا أنهم اذا تناظروا تحاصموا ، واذا تناقشوا تشاموا ، ونسى أن يقول كذلك إنهم اذا تقدوا تلبسوا أسبا بالتقد تدك على سوء القصد ، وأحدث الأمثلة على ذلك أن الأستاذ ( ع . ع ) وهو أديب نابه لا يُتهم في علمه ولا في فهمه . قد صكبت في البلاغ بمناسبة ضحى الاسلام يقول مامزده : إن أديبانا قد استمرأوا ( مائدة العراق ) فهم اذا كتبوا في الأدب كتبوا عن العراق . واذا بحثوا في العلم بحثوا في العراق ، ثم نسي على صاحب ضحى الاسلام أن يفضل مصر ، وفيها أنشئ الأزهر ، والبا هاجر العلماء . ولو قرأ الأستاذ الكتاب لوجد فيه فصلاً عن مدرسة الاسكندرية . بل لو قرأ المقدمة لوجد المؤلف يقول : ( غنيت بضحى الاسلام المائة سنة الأولى للعصر العباسى ) وفي هذه المائة سنة لم يكن أسس الأزهر ولا سقطت بغداد ! ومن الغريب أن يقول الأستاذ للمؤلف : إن طول النظر مرض ذكرته الاطباء . وهو يعلم أن قصر النظر كطولها سواء بسواء !

## العدد الأول من الرسالة

اضطرونا لشدة الطلب على هذا العدد أن نعيد طبعه ، وهو يطلب من الادارة قرأاً .

# خِوَاطِرُ وَصُورُ

## المتردد

أعرف رجلاً يعيش رخي الصدر آمن الشرب في دار  
بهجة وأسرّة حبيّة ورفقة مخلصين ، تلقى ذات يوم كتاباً  
من صديقين يدعوانه إلى رحلة خارج القطر كانت منذ زمن  
طويل متجع خاطره ومهوى فؤاده ، فوجد من فرصة الفراغ  
وجمال الربيع ووفاق الخليلط مغرياً جديداً بها ، ودافعاً شديداً  
إليها ، وكان صديقه يطلبان جواباً حاسماً سريعاً . فوقف  
الرجل بين الأمرين وقفة المتخير المتحير ، لا يدرى أيقظ في  
هذا المكان المحجوب الذي يسقيّه ، أم يرحل إلى ذلك البلد  
الجميل الذي يستدعيه ؟

بدأ تردده هادئاً مقبولا كهدية المهد ، ثم مالبت أن عاد  
مرجعاً ملولاً كاضطراب البحر . كان ترجّحه بين الإقامة  
والظن أشبه بترجح الزورق على الماء المادى يدفع إلى  
الأحلام والأوهام . والمتردد واسع الخيال كثير الفروض .  
فأخذ يقلب الأمرين في خاطره ، يوازن بينهما منفردين ،  
ويتماها مجتمعين . ويطمع أن يتركهما متعاقبين .

أزف الموعد والصديقان ينتظران الجواب إيجاباً أو سلباً .  
فلا بد أن يخرج من عميّة هذه الحيرة ليكتب إليهما ، جلس  
جلسة الكاتب وأخذ أهبطه للكتابة . ولكنه لم يكد يقر على  
الصفيحة يده حتى ساوره الشك فأمسك ! وأخذ فكّره يتقلّب  
بين المكانين ، ويفاضل بين المنعنين ، حتى انتهى به التردد إلى  
إثارة البقاء .

آثر البقاء لأن الصديقين ربطاه بعهدة خفيفة ، لا بكلمة  
مربّضة ، ولأن في المتردد جرثومة من جرائم الكسل ؛  
المترددون أميل إلى الكف والاحجام ، دون العمل والاقدام .

ذلك إلى أن مخيلته الخصية قد أنبتت له من الذرائع والأسباب  
ماوافق هواه ؛ كيف يصدف عن مسرة هادئة أكيدة ، إلى  
أخرى جديدة غير أكيدة ؟ أنهم يتدحّجون ذلك البلد لطيب  
هوائه وجمال مناظره ، ولم يعلموا أن في الرحلة إليه والحلول فيه  
اضراراً تخاف وتجنّب ! أين يجت ما يعدل زوجته العزيزة  
وداره الجميلة وحديقته البهيجة ؟ لقد أصبحت هذه الثلاث  
أجمل في نظره وأجمع لحيره منها قبل ذلك !

أليس من الحق والجحود أن ينمط الإنسان مثل هذه  
السعادة ؟ على أن هذا البلد بعيد الشقة ، ولا بد للراحل إليه أن  
يبيت ليلة في القطار على فراش لا وثير ولا وطي . أو  
يعتبر البحر متعرضاً لدوّاره وأخطاره ، وإذا أصابه مرض  
في الطريق أو في الفندق فماذا تكون عاقبة أمره ؟ ذلك فضلاً  
عن الغذاء الدنيء والمسكن الوبي والعناء المبرّح .

أجمع صديقنا في الأمر رأيّه ، ووطن على البقاء نفسه .  
فكتب الكتاب بالرفض ودفعه إلى الخادم ليحمله إلى مكتب  
البريد القريب ، ولكن الخادم لم يكد ينطلق بالكتاب حتى تحرك  
الشك في نفسه . وتغير المنظر الماضي في عينه ، فكأنما سحر  
ناظره . أو تبدلت مشاعره !

ذلك البسلك الذي استخف به منذ قليل تجلّى لعينه في  
صورة جذابة أنيقة ، وتلك الأحاديث العجيبة التي سمعها  
عنه تواردت على ذهنه تبارعاً منقحة الخواشي ببحر جمال  
المفقود . وحب استطلاع المجهول . ثم تملك أمام عيّه فرائد  
تلك الرحلة وملذاتها . فعاد باللائمة على نفسه ! كيف عميت  
بصيرته عن هذه المنافع جماء ؟ وكيف اعتاته عن هذا الأمر  
شهوة الانغراق والنصب ؟ إن متاعب السفر هي الصحة والقوة  
والحياة واللاشيء . أذهب للعمر وأقلل للزمن من أن يظل قيد  
بيته محلاً إلى عيشة رغيدة وادعة ، وحياة مثابة عملة ،  
تلك فرصة ما يحسب الدهر بمثلاً يجود !

رحلة ممتعة مغبدة ! وإخوان صدق ملأوا طرفا وعلا !  
إن ذلك الرضض ضرب من الله والجبن !

تحول ذلك التوبيخ أسى وحسرة ، وبلغ به الحق والشوق  
والخجل حد الهياج والقلق ، فأهوى يده إلى الجرس ،  
وصاح بأحد الخدم أن يرد عليه الكتاب وحامله ، فقال  
له : أن الخادم يأسدى انصرف إلى وجهه منذ ربع ساعة !  
فارتد الرجل كاسفا حزينا ، وانقلب ماحوله مظلما قبيحا ،  
واستولى الضجر على نفسه ، وأصبح يته الجبل الرحب أضيق  
في عينيه من كفة الحابل ، ثم مالبث أن عاد إلى نفسه وأخذ  
يفكر في جواب الخادم ، فقرر أن المسافة إلى مكتب البريد  
يقطعها الخادم راجلا في ربع الساعة ، فإذا قطعها هو على سيارة  
استطاع أن يوافيه قبل أن يضع الكتاب في صندوق البريد .  
وما هو إلا رجع البصر حتى انطلقت به السيارة بثقل صوتها

المرعج زحام الطريق ! ولكنه لم يضع قدمه على عتبة البريد حتى  
كان الخادم خارجا متوقفاً يحجز عمله ! بهت صديقا وكاد يستسلم  
للأس لولا أن حذر ذكر التلغراف على خاطره ، فبرقت أساريره  
وقال : إن الرسالة البرقية تصل قبل الكتاب فتسخره . ثم  
أخذ طريقه إلى مكتب التلغراف وبدأ يكتب الرسالة ، ولكنه  
ما بلغ الكلمة الرابعة حتى جمعت يده على الورقة ! قال في  
نفسه : إن الرسالة البرقية كالكلية المفروطة إذا قيلت فلن  
تترجع ، وسأكون بها مقبلا مأخوذا . إلى القلم وخرج  
من المكتب يتشم الهواء ! وأخذ يمشى أمام الباب ذهبا  
وجبة وهو يسأل نفسه : أكتب أم لا أكتب ؟

دقت الساعة دقتين فارتد وقال : مالي أتردد ؟ يجب أن  
أقطع الرأي ، فإن الوقت وإن طال لا يسع المطال . ثم فكر  
وقدر ، فجاء برأى خليط مبهم لم يلبث أن نزل منه ، وظل  
واقفا يتصفح وجوه الآراء ليرى الرأي القاطع نصف ساعة  
كان فيها فريسة المم والضجر !

استقبح من نفسه هذا الضعف الشديد ، فاقبض المكتب ،  
وآتم الرسالة ودفعها إلى العامل وهو يقول في نفسه : سأتمها  
بأخرى إذا بدت لي في الأمر زيادة .

ثم انكفأ راجعا إلى بيته يستعد ويتأهب ! وأقسم أن  
منظر ذلك البيت الذي يريد أن يفارقه غدا سيحى في مخيلته  
صورة رائعة الجمال شديدة السحر . وإن زوجه وكتبه وأزماره

وأشجاره ستملك عليه وجدانه . فلا يمنعه الخجل أن يصبح  
ناكثا ما أتمر وناقضا ما أيرم !

لعل في القراء من يحمل وصف هذا الرجل على المبالغة ،  
ولكني أؤكد لهم أن مكانه من الصديق مكان صورته الشمية .  
إن التردد مرض من الأمراض لا يترتب له لنتوته .  
يصيب المرء في حياته العملية ، فيغل يده ، ويشغل عقله ،  
ويتركه فريسة للآلام من ضعفه ، والخجل من صحبه . تظهر أعراضه  
في صفار الأمور وكبارها ، فيكون في انتقال الثوب ، واختيار  
الحذاء ، وفي الاقدام على الزيارة القصيرة ، والرحلة الطويلة ،  
ويدخل في لذات الرجل وأعماله ، كما يدخل في إدايرة وإقباله .

\*\*\*

جرت بين هذا الصديق نفسه وبين زوجته هذه المحاور  
منذ اسبوع ، فأننا أنقلها إليك بنصها لتزداد به معرفة .

قال وهو يهم بالخروج إلى مكان عمله :

— زينب ! أتشيرين علي بأن آخذ مظلتى ؟

— أقبل يا على ما تشاء .

— أظنين أن السماء تمطرنا اليوم ؟

— وما يدرينى ؟

— آخذها والسلام !

— حسنا تفعل .

— ولكنها تضايقتني إذ لم تمطر السماء .

— دعها أفند !

— ولكن المطر إذا نزل بلل طربوشى وثوبى .

— خذها إذن !

— ماهذه الحاقة ؟ وما هذا التردد بين الأمر والنهى ؟

ليس للشير إلا رأى واحد ! فهل ترين أنى أحسن  
إذا أخذتها ؟

— نعم !

— سأخذها إذن .

— ولكن الهواء دافئ ، والسماء صافية ، وأخشى إذا دام  
الجو كذلك أن أذهل عنها فأفقدتها ! سأتركها قطعاً !

ثم سار يريد الخروج فلحها معلقة على المصعب فأخذها

وهبط السلم فاهلا ، متباطئا ، حتى بلغ البواب فدفنها إليه .

أحمد حسن الزيات

# سائح الأرض هان

## تراثنا القديم

للأستاذ أحمد أمين

خبرنا أنرا في النفس أبلغ التأثير . وآثارا في القلب كوا من  
الأسى والأسف .

أولها أن أدبا كبيرا ، وخطيا خطيرا طلب من إحدى المكاتب  
القاموس المحيط للشيخ وزايدى ، فأرسلته إليه ، فاستقام إياها ثم رده  
شاكرا ، لأنه لم يستطع أن يعرف طريقة الكشف فيه ، وإذا استطاع فلا  
يفهم ما يقول ، ولا يقين ما يشرح . لذلك يستنزع عن شرائه ويطلب  
بذلا منه معجبا من المعاجم الحديثة ، كقرب الموارد ومحيط المحيط ،  
والبستان ، لسهولة الكشف فيها ، ووضوح القصد من معانيها .

والثاني أن مجلسا من مجالس المديرية قرر إنشاء مكتبة يتردد إليها طلبة  
المديرية ومتفقوها ، وعهد إلى بعض رجاله اختيار الكتب الصالحة فلم يختار  
فيها اختارا كتابا قديما كالقاموس المحيط ولسان العرب وتاريخ الطبري  
وتاريخ ابن الأثير والآفاق والعقد الفريد ونفع الطيب ، وإنما قصر  
اختياره على خاتمة الأدباء المحدثين من روايات وقصص وتاريخ  
حديث ، وأدب من الوزن الخفيف .

رائع ما في هذين الخبرين من دلائل مؤلة : وما يحصلان من نتائج  
خطيرة : دلالة الخبرين أن تيار الفكر إنما يسير نحو الثقافة المصرية .  
وإن المثقفين إنما يستمدون على ما تفرجه المطابع من آثار للثقافات  
الأجنبية ، فامثالنا القديم وما فيه من ثراء ضخم فتجرب عنه أدواق  
الناسخ ومن يقدرون ويختارونهم . ولا يقل عليه إلا المستشرقون وأمثالهم  
من علماء قليلين يسرون نحو الفناء ، دون أن يخلف من بعدهم خلف  
يقوم على هذا التراث فيحفظه ويكثمه .

ولهذه الظاهرة أسباب أهمها :

أن هذه الكتب جارت عصرها ولم تمار عصرنا ، فالتعريف معتد .  
والمعنى غامض ، والتأليف مشتبك . والمصطلحات جامدة ، والأمثلة  
واحدة قطع هذا كله الصلة بين القديم والحديث ، ولم يستطع  
أن يفهم هذه الكتب القديمة إلا من شأ عليها ، واتفق أكثر العصر

في فهم عاراتها ، وحل معمياتها . وكثير منهم وقف عند الفاظها  
ومصطلحاتها . ولم يسعه الزمان بالتغلغل في أعماقها وإكتناها سرورها .  
واستخراج كنوزها . فلما نشأ الجيل الجديد وقد تعلم أول أمره في  
رياض الأطفال ، وأسست هذه إلى مدارس ابتدائية وثانوية بمجتهد  
مدرسوها أن يعلموا على أحدث طرق البيداغوجيا ، وقرأوا  
تلاميذها في كتب ألقت على غرار الكتب الأوروبية في الشكل  
والموضوع ، أصبح المرحوم لا يربطون جديدهم بقديم آباءهم وصارت  
الكتب الأوروبية أشبه إلى قلوبهم وأقرب إلى عقولهم من كتب الأدب  
العربي والفلسفة الإسلامية ، وكتب القانون الفرنسي أحب إليهم  
من كتب الفقه الإسلامي وهكذا . وم إذا نظروا في هذه الكتب  
العربية مزقوا بها وضحكوا منها إذا ذاقوا وقع نظرم والفقه على تحديد  
ماء الطهارة بأنه عشرون عشر بذراع الكرياس ، قالوا ما لنا ولذراع  
الكرياس ؟ إنما نعرف الذراع البلدي والذراع المعماري ، وإذا رأوا  
نظام أخذ المشرقوا ما إذا يقابل ذلك من نظام الضرائب والمجاري ؟  
وإذا نظر الأطباء في كتاب القانون لابن سينا وشعروا أمام أحاسي  
لا طاقة لهم بها . وإذا نظر الأدباء في الأغاني والمقد وأمثالها رأوا  
شرا كثيرا وخيرا قليلا وكان ما فهموا أنداما لم يفهموا .

الحق أن هذه مشكلة كبيرة تحتاج في علاجها إلى ميرة الحكماء ،  
وأن ما في كتب أسلافنا من ثروة يحتاج إلى عقول كبيرة تضع منها  
قريبا للاستفادة منها .

ونحن بين اثنين : إما أن نتخصص منا طاقة صالحة لترجمة ثروتنا  
القديمة إلى لغة العصر وروح العصر وأسلوب العصر ، فيستطيع  
ناشتل أن يضعوا أيديهم على تراث آباؤهم ، وإما أن يتفقا أكبر عدد  
يمكن بنوع من الثقافة الشرفية القديمة ، فضلا عما عديم من الثقافة  
الحديثة ، فيجمعوا إلى موارد الأجنبية الموارد العربية ، ويخرج  
تأليفهم متشعبا بالروحين . مستمدا من الثقافتين .

فإن لم يكن هذا ولا ذاك خشيت بعد قليل أن تصبح كتبنا  
القديمة غير صالحة إلا للآرشفة نصيب فيها والتكبروت يفسح  
عليها ، ويكون شأننا معها كما قال أبو العلام :

سيأتى قوم ما الحبيص ومكة . كل قال قوم ما جديس وما طم

## اسكندر يقتل صديقه!

### للدكتور عبد الوهاب عزام

اسكندر العظيم يثبث عرشه وسلطانه وهيئته وكبرياه  
في مقدونية واليونان، ثم يتوجه تلقاء آسيا  
الفريقان من اليونان والفرس يلتقيان على سهل (كرانيكوس)  
الصغير عام أربع وثلاثين وثلاثمائة. فيتأخّر لاسكندر  
أول فتح في آسيا، وتخضع له الميدان حتى سرديس. فقد  
دانت له آسيا الصغرى كلها.

ثم يتقدم صوب الجنوب، فيجتاز طوروس ويسير تلقاء  
الشام. وإذا بجيش دارا، الجيش اللامع الذي لا يغلب من قبله  
رابض في طريقه. وفي سهل إسوس الضيق بين الجبال والبحر  
تزدحم مئات الألوف في المعترك، ويدق في البحار مائة ألف  
من الفرس، ويغرد دارا وينهب معسكره، وتؤمر أمه وزوجه  
وابنتاه. فانظر اسكندر قد قهر الملك الأعظم، ملك الفرس الذين  
طالما خسر اليونان بأنهم احتملوا صدمتهم، وردوهم عن بلادهم! لا  
يتقدم الفاتح العظيم فيقهر مدني الشام، وتقاومه صور  
وتحيط بجبروته وسلطانه، ثم تخرب امامه بعد حصار سبعة أشهر،  
فيقتل منهم مائة آلاف، ويؤسر ثلاثون ألفا يباعون عبيداً.  
ويصلب على القلاع ألفان عبدة ونكالا! ذلكم اسكندر  
الفاتح العظيم، وذلكم جزاء من يقف في سبيله!

ويفتح اسكندر مصر عام اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.  
ويرفع نسيبه الى أمون. ثم يجمع جنده ويسير الى العدو  
الأكبر الملك الأعظم، يجتاز القراة ودجلة الى حيث يعسكر  
دارا. وهناك على مقربة من أطلال نينوى العظيمة التي تنهب  
بجد آشور الغابر، وعلى سبعين ميلاً الى الشمال والغرب من  
مدينة أربيل، ليس بعيداً من ملتقى عبد الله بن علي العباسي،  
ومروان بن محمد خاتمة الخلفاء الأمويين، حيث سقطت دولة  
وقامت دولة! هناك تراءى الجمعان، وعسكر اسكندر تجاه دارا،

ويشير (برمينيو) على الفاتح المقدوني أن يهاجم عدوه ليلاً،  
فيأتي مجد اسكندر وكبرياؤه، فيقول له: «أما لا أسرق النصر،  
ثم يلتقي الجمعان. وتدور الدائرة على دارا، وجنوده، فيفر  
صوب المشرق. أرايت بابل العظيمة مدينة البحر والعلم؟  
ها هي تفتح أبوابها لاسكندر ويباركه كبتها. ويطوى الملك  
الشاب المراحل الى سوس واصطنع حاضرتي الفرس،  
لا يصعد لمدينة الافتحها، ولا يعمد لجيش الامم.

تتمد الفروع والآمال والنشوة والكبرياء باسكندر الى  
ما وراء النهر في طريقه شطر الهند، بعد أن طارد دارا حتى  
عشره في الطريق قتيلاً.

اسكندر العظيم في مدينة سمرقند عام سبع وعشرين  
وثلاثمائة. قد طوى المراحل والملك ما بين مقدونية ونهر  
سيحون. ينعم هناك بالشباب والظفر والملك الفسيح،  
والكنوز التي لا تحصى، والجند الذي لا يعد اسكندر الآن  
أعظم ملك في العالم كله!

\*\*\*

ويدعو أصحابه وقواده الى مأدبة في سمرقند، فيأكلون  
ثم يدور الكأس حتى يشمل القوم أويكادون، ثم تترع للملك  
المظفر كؤوس من الاطراء والاعجاب والاحلال والاكبار.  
ويغلو المتلقون المعجبون فيرفعونه فوق الأبطال جميعاً.  
ويدعون أن أعماله المعجزة لا تكون الا عن نسب آلهي، بل  
يرفعونه الى مستوى الآلهة كهرقل. ويشارك الملك الشاب  
في اعظام مآثره والاعجاب بها، ثم لا يفتن بما يعمل، فيجعل  
لنفسه ما نال أبوه من ظفر في آخر عهده، ويغتر من فليب  
وإن كان أباه!

يسخط المقدونيون من الزرابة بظلمهم القديم، ولكنهم  
لا ينسون (و. كليترس) رابض ينظر الى اسكندر وما دحبه  
ساخطاً محلقاً. كليترس أحد قائدي الفرسان، كليترس الصديق  
القديم أخو (لانيس) حاضنة اسكندر التي قتل اثنان من أبنائها  
تحت رايته، كليترس الذي نجى اسكندر في معركة كراتيكوس



حين أبصر أحد الفرس يهوى بسيفه الى الملك من خلفه  
فصارح كالبرق فضرب السيف ففقد دون رأس الملك .  
كليتوس هذا لم يسطع صبرا على النض من فيليب ! قال كليتوس :  
ما هؤلاء المادحين يضعون أقدار الفارين ليرفعوا عليها مجد  
الحاضرين ؟ ان فيليب كان عظيما ! - ثم تأخذه الحدة فيقول :  
ليست مآثره دون مآثر ابنه ! لا ، ان مآثره لأعظم . فقد  
خلق الرجل لنفسه ملكا وجيشا . وانما صلت أيها الملك بما  
أورثك فيليب من ملك مهد وجند مدرب . انما ظفرت بفضل  
هؤلاء المقدونيين الذين تحضرهم اليوم وتقدم الفرس عليهم .  
الم تقتل برميون العظيم ؟

هاج الحاضرون وقد فؤا كليتوس بالجدل والتوبيخ .  
وثار ثائر الاسكندر الفتي الفاتح الذي سخر ملك مصر وبابل  
وأشور وقارس ، اذ قرعت أذنه لأول مرة نياة نافذ يعترض  
كلامه ويرد عليه دعواه . غضب اسكندر وصاح بكليتوس  
يزجره ويحاده ، وانحاز الحاضرون للملك المعجب بنفسه ،  
وكليتوس كالأسد يزجر ويرد الكلمة بمثلها ، ثم يتفرض قائما  
ويصيح مادا يده الى الملك : اذكر أن حياتك دين لهذه اليد  
التي نجتك يوم كرايكوس ! وأصخ لصوت الحق الصراح ،  
أو تجنب دعوة الأحرار الى مآذبتك ، واختص العبيد بصحتك !

اهتاج اسكندر لموقف كليتوس ولذكرى كرايكوس  
وبرميون ، فنهض يتحس خنجره ، فاذا الخنجر بعيد قد نجاه  
أحد الحاضرين . فينادي الحرس مقتضاها نجا ويأمر أن ينفض  
في الصور ايذانا للجد ، فاطاع أحد أمر الملك الهائج الشوان ،  
لم تقدم نحوه بطليموس (وردكاس) القائدان الكبيران فأحاطا  
به وأسكايده برفق يسكان ثورته . ويكران حدته ، ويحيط  
آخرون بكليتوس بخرجونه من البهر ، فيأبى أن يخرج فيعرف  
بأنه أساء واعتدى . ويقول اسكندر : وأسفا ! ان قوادى  
قد غلوتى كما فعل بسوس بدارا . وانما لي من الملك اسم .  
ويتقدم اسكندر تلقاء كليتوس ، ولا يجرؤ القواد أن يقفوه  
قرا . ثم يقضن كالهامة فينزع خربة من أحد الجند فيمدها  
في صدر كليتوس الصديق القديم !

يرتاج الحاضرون . ويفيق اسكندر من نشوته وثورته

وعنجهيته . فيفتح عليه فاذا كليتوس طريق يضطرب في دمه .  
خرج اسكندر من البهر بعد وال فراشه ، فارتقى عليه ثلاثة  
أيام لا يأكل ولا يشرب ، يبكى بدموع عزت على الخطوب  
الشداد ، وغلت في الحوادث السود . وينهذى به البكاء . وكلما  
كف فكف دمه تمثل له صديقه طعنا يده . ويلعن نفسه نادما .  
ويهتف باسم كليتوس وأخته لانيس . ثم يقول : وبلى ! أنا الغادر  
الكنود . لقد جزيت كليتوس ولانيس شرا بما أحسنا الى .  
لست بعد اليوم جديرا بالحياة .

ويجتمع اليه صحبه يزرونه . ويسوغون ماعمل . فلا يزداد  
الا حزنا واكتئابا وندما وأسفا . ويجمع الجند المقدونيون  
فيجمعون على أن كليتوس قل بحفه . وأنه ينبغي ألا يدفن .  
فينضب اسكندر ويقول : كلا ! انه سيدفن بأمرى . ويأتى الكهنة  
فيقولون : ان الملك لم يقتل صديقه يده ، ولكنها نفقة من الاله  
(ديوتوس) أجراها على يد الملك انتقاما لنفسه بما حرم القربان  
في هذه المأذبة . ثم يأتى الفيلسوف (أنكسرخوس) فيقول :  
أيها الملك ان الذى أنت فيه لعجز . وانك أيها الملك العظيم  
والقاع القاهر الجدير بأن تحل وغرم وتحق وتبطل بأرادتك  
لا أن تخضع للقوانين التى سنها الناس . ثم يأتى كلنتوس  
الفيلسوف فيجهد أن يهون على الاسكندر ما فعل .

فارق اسكندر مضجعه بقلب كليم اجابة لتصحاته وإجابة  
لواجبه في هذه البلاد النائية . ولكنى أحسب الجرح قد ذهب  
مع اسكندر الى قبره !

اسكندر العظيم لم يعظم عليه مطلب ، ولا بعدت على همه  
غاية ، ولا ثبتت في طريقه دولة ، ولا وهن قلبه في سلم ولا  
حرب ، ولكن اسكندر الفاتح القاهر ، والملك المسلط ، لم يحتمل  
وخزة واحدة من وخزات الضمير . فخر كالطفل يبكى ويشملل .  
وكاد ييخع نفسه فرارا من الندم !

ان عذاب الضمير هو العذاب الأكبر ، ولكن لا يعرفه  
الا ذور الضمائر ، وقليل ما هم !  
فه در كليتوس ! لقد ذهب مثلا في الوفاء ، وابن في  
الدنيا الأوفياء ؟

وته در كليتوس صريح الوفاء ! وته در اسكندر صريح  
الوجدان !

## مجمع البحور وملقى الأوزان

للككتور محمد عوض محمد

نعين بنا . كلما دخل الأدب العربي طور جديد . أو ظهرت فيه ندعة جديدة . أن نفق لحظة لحقق أمر هذا الطور الجديد . وهذا المصباح الذي يريد بعض الأدباء أن يبيحه . ويهبي أن السكائن الخي يبع أن يكون في نذل أهداوى شعور . لكن يحمل ثامن أن لأن أن صب قليلا لتخلق هذه الانجاعات الجديدة . لكي تكون على بصيرة من أمرنا ، ولكي نحشى على علم وهدى . فان بعض السبل الجديدة يؤدى الى الخير . وبعضها لا بعض الى شئ .

وقد ظهر في عصرنا هذا ضرب جديد من الشعر . لم يعرفه الأوائق ولا الأواخر . ولا يعرف في شعرك الشرق من عرب وترك وفرنس من نحا هذا البحر . ولا في شعراء الغرب في الأدب الأنكليزي والفرنسي والألماني . عن له شأن وخطر . من سلك هذا السبل . وإن كان بين قراء ( الرسالة ) من يعرف شاعرا ذا شأن طرق هذا الباب من قبل . فقد يبرنا أن نعلم عنه ما جهلناه . أما هذا الضرب من القريض — وقد سميناه مجمع البحور — فانه يسوغ للشاعر في المنظومة الواحدة والموضوع الواحد . أن يجمع بين ماشاء . من بحور الشعر . بلا قيد ولا شرط . فيقتل كما شاء . له الحوى من وزن إلى وزن بلا سبب ظاهر . بدون أية قاعدة مفهومة أو غير مفهومة . فيبدأ منظومة بالحفيف مثلا . وبعض في الى بيتين أو الى أبيات . ثم يخرج على البسيط فينظم فيه أيضا بيتين أو ثلاثة . ثم يميل فجأة الى الرمل ثم الى الكامل . وهكذا لا إلى ينقل من بحر الى بحر . ويثب من وزن الى وزن . والمنظومة واحدة والموضوع واحد .

ليس من شك في أن هذا الضرب من الشعر جديد . ولو أن المتقري . وهو الأمر الناهي في ملكة القريض . قبل له إن فلانا ينظم القصيدة الواحدة فيجعلها من بحور شتى . لقائل محدثه . يا هذا إن شاعرك مثله كمثل الطاهي الذي يحاط الحلوى بالحامض . والمائع بالحامض . والرطب باليابس . والصاب بالشهد . ثم يرجو بعد هذا أنه يكون فيما طاه شفاء وشفاء .

مفهوم أن يكره الانسان التقييد بالقيود من أى نوع كانت . والنفس تنور من أن لأن . تحاول تحطيم السلاسل التي تقيد بها وتمنعها من ارتياد سهل الحرية عذبا تميرا . وقد رأينا منذ زمن كيف

أبدع بعض الشعراء نظم القريض مرسلا . من غير قافية ثابتة . لكن مع الاحتفاظ بالوزن . وكان لهذا الضرب من القريض أصاره . الذين نادوا في الناس بأنه سيرق بالشعر العربي الى سماء ما طاولها سماء . ثم لم تلبث تلك النار أن ياخذت . وذلك الأصوات أن حقت . وأصبحنا اليوم وأكثر الأدباء متفق على أن إرسال القافية لا يلائم الشعر العربي . فلم نكفد مع تلك الحرية جناحتي عدنا بأعضا طامعين إلى حلق السلاسل والأغلال . مضحين بتلك الحرية العروضة التي لم نتج لنا إلا كل قاتر تمجيد النفس .

ثم جاءه بعد هذا ندعة أكبر وأخطر . وهي ندعة ( مجمع البحور ) التي رصفاعا . وما يوسف له أن يكون شاعر من أجل الشعراء شأنها هو . شوق . على ما به من قدوة ومكانة . وهو الشاعر ذو النفس الغزويل . الذي ما كان يعبه أن ينظم فيطيل ماشاء الأطلالة . وهو الذي نظم ( حسدى الحرب ) و ( مقدونيا ) و ( نهج البردة ) . انه برغم هذا رأى ألا يلتزم وزنا واحدا في رواياته التي كتبها أخيرا . فأحيانا كان شخص من أشخاص الرواية يسأل السؤال في وزن . فيرد عليه بوزن آخر . وكثيرا ما يتقل المتكلم ال وزن جديد . وموضوع الحديث لم يتغير .

لقد قيل ان لشرق في ذلك أسوة بكبار الشعراء الروائيين أو القصصيين . وهذا ليس صحيح . فان جميع روايات شكسبير من وزن واحد وهو المسمى Iambic Pentameter وملحمتا هر مبروس كلثامهما من بحر واحد . والقية دوس الضائع للقرن كلها من وزن واحد . والشاعنة والمتروى كلها ذات وزن واحد . وبرغم ما قيل وما يقال عن روايات شوقي . فان كثيرا من الناس يقر بأن هذا الأكثر من الأوزان قد أقدها قسطا كبيرا من الحسن .

ونحن نسوق هنا على سبيل المثال قطعة من ( قصيد ) وهي الرواية التي تفوق مواجها في هذا الأمر .

جاء في النظر الأول من الفصل الأول الحوار الآتي

بين تانس وعمها فرعون ( أمازس ) :

تانس : فخرت بأبي المسير هبلى . مكانها منك يا أمازس

فرعون : أنت التي تذهبي

تانس : ثم لا ؟

فرعون : هذا هو الفل يا تانس (١)

مخ مخ بنت أنى (٢)

تانس ( في استنكار ) : أنت يا قاتل عمي

لا . . . أن يأتى وأنى (٣)

في هذا الحوار القصير الذي يتألف من ثلاثة أبيات . ومصرع



## فلسفة برجسون

الاستثناء الذي يحجب محمود

نوبة على المادة

كما بدأ التفكير الإنسان بدراسة هذه ثم ينسحب إلى إحدى شيئين : هو إما أن يفهم بعض في تلك المظاهر المادية التي تخضع للقوانين الآلية الصارمة ، ثم ينصرف بناء على ذلك إلى دراسة الوجود المادي بما فيه من صور وأوضاع ؛ وإما أن يشبى إلى إنكار ذلك الوجود المادي جملة وتفصيلا ، واعتباره من خلق العقل وتكوينه ، ثم يرجع على هذا الأساس إلى دراسة العقل وحده ، لأن في دراسة دراسة الوجود بأسره ، مادام ذلك هو الذي خلق هذا خلقا ، وأنشأ انشاء .

إذا فقد انقسم الفلاسفة قسمين مختلفين : فريق ينصرف بأسره إلى العلوم الطبيعية لأنها السبل إلى تفهم مظاهر الكون ، وفريق يكسب على دراسة النفس انكبابا ، لأنها هي كل شيء ، ونحن نستطيع أن نقول في شيء من الدقة أن تاريخ الفلسفة الحديثة ينحصر في هذا الصراع العنيف القائم بين علم النفس والعلوم الطبيعية . فهذه منذ الحقيقة في دراسة الظواهر المادية ، وقد ترى في طريقها من أوراق الأمل الباسم ما تمضى معه في بحثها ثابته اليقين موطنة العزيمة ، وذلك بلتمسها في دراسة النفس دون المادة وهو مؤمن أن ليس أقوم من تلك السبل سبل

ولكن جاء القرن التاسع عشر ، فانسرج ذلك المجرى الفكري بغير شيء ، واتجه إلى دراسة المظاهر المادية اتجاها مباشرا . دون الوقوف على هذه النفس الإنسانية وقفة تحليلية ، ولعل ذلك راجع إلى أن الإنسان قد خيل إليه أن العلوم الرياضية والميكانيكية وما إليها ، هي التي دفعت به في العصر الحديث هذا الدفع السريع ، وله عذره في هذا الظن ، مادامت الصناعة التي تدور أرحاؤها في أوروبا ، والتي قلبت الحياة رأسا على عقب ، هي ربيعة تلك العلوم . . . إذا فلماذا لا تدرس هذه العلوم الطبيعية دون سواها ؟ هكذا اصطفت الفلسفة في القرن الماضي بصيغة مادية ، وذهبت في الفضاء صيحة ديكارت التي أخ بها في أن ندأ الفلسفة سيرها من النفس ثم تتابع طريقها إلى العالم الخارجي .

انطوى القرن التاسع عشر أو كاد ، قد الإنسان بغير بعض الشيء من تلك الفتنة التي أخذ بها الانقلاب الصناعي ، وأخذ الفكر ينزع عن نفسه شيئا فشيئا ذلك الثوب المادي الذي اشتد به واحتواه حين من الدهر ، ويبحث عن حقيقة الوجود في الحياة ، التي تدب

واحد - ثلاثة أوزان ( ١ ) مخلق البسيط ومنه البتتان الأولى ( ٢ ) ونجوه الرجز ومنه المصراع الذي يليها ، ( ٣ ) ثم مجزوء الرطل ومنه المصراعان الأخيران .

وقد يرى بعض الناس أن من الغث في الجزئية أن يكون أحد المصراعين في البيت الواحد واثنان من بحر آخر . ولكن في الحق أن هذا هو الطور السطحي لمجمع البحور ، فإذا كان مستحسنا أن يميز الإنسان الوزن بعد بيتين أو ثلاثة ، فليس هناك معنى لأن يتبع المزمع عن تغييره في كل مصراع ، بل وفي أقل من مصراع وقد فعل ذلك أحد الأفاضل في الجزء الثالث من ( أولو ) في قصيدة من هذا النوع عنوانها ( الشراع ) جاء فيها :

وانزع عنك كساء الليل ثوبا : ( رمل )

شجبا ( ٤ )

تحسك اللجة السحيفة تدوى ( خفيف )

فوقك اللامبية الأبدية ( ٥ )

وأمامك الأفق البعيد بضل ( كامل )

والقارئ الذي يهه هذا الضرب من الشعر يجب أن يرجع إلى هذه القصيدة لأنها خير مثال له بين أيدينا . ولولا حق المقامة لاحتلنا بكثير من أياتها .

وقد جاء في العدد الرابع من الرسالة منظومة للشاعر الفاضل أيتا أبو ماضي عنوانها الشاعر والظان الجائر . وقد أعجبتنا فيها من خيال بديع ، وكان افتتاحها بنوع خاص متبنا بأن المنظومة من الدور الثوالي . الآن هذه النور كانت ذات نظام محظوظ إذ جعل الشاعر يغير من وزنها ست مرات أو سعا ، فلا تكاد الأذن تطمن إلى نغمة ، حتى يستبدلها نغمة مخالفا وتغايرها ، والذين اكتفوا بقراءة القطعة الأولى حكموا بأن القصيدة من أحسن الشعر . وأما الذين قرأوها إلى النهاية فقد أسف كثير منهم على أن الشاعر قد أفقد المنظومة حبا لهذا الاضطراب في النظم : لأن لكل بحر أثر خاصا في النفس . وهذا القلب السريع بما يرجع المخاض ، ويغير الأسباع .

لنا حاجة لأن ندره نقارى أشلة أخرى نعد بها على هذه الظاهرة الجديدة ، التي بدت في كتابات بعض الشعراء . وليس من شائق أن ( مجمع البحور ) هذا سيكون شأنه شأن الشعر المرسل ، سينادي به بعض الكتاب حينا ، وقد يستنحل أمره زمانا ما ، ثم لا يلبث أن يمتد جذوته ، ويذهب كما ذهب أخ له من قبل .

في اصحاء الكون . لان حركة القصور الذاتي تقظم الجساد . وما زال الفكر يعمق في هذه النزعة الجديدة حتى كادت الحياة تدب في المادة نفسها . واصطفت العلوم الطبيعية بهبة حيوية . وهكذا كتب لما أن تلقى السلاح وتندحر أمام علم النفس فهاشيب ييبا من عراك .

ولعل شوبهور هو أول من قفل الى ان . الحياة . هي أساس الوجود . ثم جاء برجون في عصرنا الحاضر وتناول هذه الفكرة بحثا واستقصاء . حتى استطاع بقوة إيمانه أن يحذب إليها انظار هذا العالم الذي طغت عليه روح اللاأدرية والشك طغيانا مروعا . عكف برجون على دراسة المذهب المادى . وخلاصته ان العالم كتلة موات من المادة والحركة . وان الحياة والفكر وكل خصائص الانسان ليست سوى اعراض مختلفة لتفاعل المادة والقوة التي تحرك دقائقها . فكان كلما أعمق في تلك الدراسة . ازداد يقينا بفساد ذلك المذهب . وهو يسأل في دهشة : اذا كان العقل مادة وكانت كل عملية عقلية عبارة عن هزة عصبية لا أكثر ولا أقل . فما فائدة الشعور ؟ أليس مجرد وجود الادراك دليل اقويا على ضرورته ؟ يقول المذهب المادى أن ليس ثمة حياة ارادية . أى ليس في الوجود تلك القوة الحيرية التي تريد هذا فتصله . ولا تريد ذاك فتنبذه . وكل ما هناك حالات مادية متتابعة . كل حالة نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها . وهنا يسأل برجون : اذا كان الوجود وما يحوى في لحظة معينة نتيجة آلية للحظة التي سبقتها . دون أن تكون هناك قوة مدركة تفشى . وتكون وتختار . واذا كانت تلك اللحظة السابقة بدورها أثرا لآلية التي سبقتها . وهكذا ذاك . فمن اذا سئير في هذا التسلسل حتى نصل الى القديم الأول . ونستخذ منه سببا لكل ما طرأ على الكون من أحداث . لافرق بين دقيقتها وجلبها . ماذا ؟ هل يريدنا ذلك المذهب على أن نعتقد بأن القديم هو السبب فيما كتبه شكبير مشلا ؟ وأنه الصلة في خطاة أنطون وهملت ؟

هكذا أخذ برجون من منطق الماديين ما يمكن وحده لإدعيم عليهم وذلك مذهبيهم من أساسه

### العقل والجسم

لعل ما حدا بالانسان الى النزعة المادية في تفكيره هو ارتباطه بالمكان ارتباطا وثيقا . حتى خيل إليه أن الحياة ليست الا هذه الصور المكانية التي يحسها ؟ ولكن الحق الذي لا ريب فيه هو ان جوهر الحياة وروحها اما ينحصران في الزمان أكثر مما يتعلقان

بالمكان . والزمان في الواقع عبارة عن تراكم صور كونية بعضها فوق بعض . وأن شئت قفل صورة كونية واحدة امتدت على طول الزمان وأخذت تنمو وتزاد شيئا فشيئا . ومعنى ذلك أن الماضي من بدته الأولى لم يكن . وانما أخذ يتقدم فتزايد أحداثه قليلا قليلا الى أن تضخم فكون الزمان الحاضر

واذا كان الزمان عبارة عن مجموع الصور التي مرت على الوجود ويستحيل أن يكون المستقبل مشابها للماضي . لأن كل خطوة زيادة تضاف الى تلك الكومة المتراكمة . وفي كل دقيقة ينشأ شيء جديد ليس نتيجة لمقدمة سابقة ولكنه خلق خفيا ولا يمكن استنتاجه قبل حدوثه . فالتغير سنة الحياة وألزم صفاتها

والذاكرة عند الانسان هي الوعاء الذي يمتد مع الزمن فتختزن فيه هذه الصور المتراكمة المتزايدة . لكن تكون لنا عرنا في حياتنا . اذ كلما اتسعت دائرة الحياة اتسع معها نطاق الاختيار . أى يمرض للانسان مؤثرات عدة تستدعي منه سرعة اختيار للثلية المناسبة لكل من تلك المؤثرات . وهذه المؤثرات وثلثياتها تكون في الانسان ادراكا يستعين به في كل ما يمرض له من مشكلات فالكائن الحي كتلة فعالة مؤثرة . لأنه يضيف الى العالم قوة ونشاطا . وليس الانسان كما صوره الماديون آلة ميكانيكية لا حول لها ولا قوة . يفعل ويتأثر بعوامل البيئة دون أن يكون مركزا للخلق والزيادة . ففى قولنا ان الانسان مدرك لما يعمل اعتراف ضمنى بحرية اختياره .

قلنا ان وظيفة الذاكرة هي استعاء الصور الذهنية التي مرت بنا في التجارب الماضية مقرونة بما سبقها وما تلاها . فتمكن بذلك من الحكم في المواقف المشابهة التي ندنعرض لنا . حكما صادقا . ولكن لهذا كرهة فارق هذا عملا آخر . فبوساطتها نستطيع أن نستوعب الحوادث بأسرها بدقة واحدة . وفي ذلك تحرير لنا من قيود الضرورة الطبيعية التي تخضع لها الأشياء الجامدة . يخطئ اذ من يحب الانسان آلة صلبة . في يد الثوانين المادية . انما هو كائن مدرك . حر الارادة . قادر على اختيار سلوك معين . والاختيار خلق وانشاء . فليس الانسان رتبا في حياته كالحوان المحدود بقرائزه .

واذا فليس العقل والمخ ( أى الجسم ) شيئا واحدا . صحيح ان الادراك العقلي يستمد على المخ . بسر ويصطبغ بصبغة للامة هذا أو انعطاطه . ولكن كما تعتمد ملايك على المشجب . تظل عالية مادام المشجب مثبتا في الحائط . وتجرى اذا ماسقط من مكانه . وبليلى أن ذلك لا يدل على أن الملابس والمشجب شيء واحد . فالج مجموعة من الصورات وردود الأفعال . أما الادراك

هو تلك القوة التي تختار من بين تلك المجموعة ما تريد . المح هو المحرى الذى يسير فيه تيار الادراك ، ولكن ليس الماء . وبجراه شيئاً واحداً ، وأنت يكن ذلك محدثاً هذا . ولا بد له ان يخضع لالتواءاته وتعاريفه

وإذا كان هذا هكذا ، فما الذى حدثنا الى الاعتقاد بأن العقل والمخ شئ واحد ؟ لعل ذلك واجع الى أن جزءاً من عقلنا ، وهو ما نسميه بالذكا . قد نشأ وتطور لكي يمارس الأجسام المادية وبفهمها . فاكسب من هذا الميدان المادى كل تصوراتهم وقوانينه . وهكذا أخذ الارتباط الذهنى بين العقل والمادة يمو شيئاً فشيئاً . حتى انتهى ما الأمر الى الظن بأشياء واحدة ؛ ولكن هذا الذكا الذى يكشف لنا عن العلاقات التى تصل المظاهر الكونية بعضها ببعض . عاجز كل العجز عن ادراك الامتداد الزمنى وما يمر من فيه لتلك المظاهر من تغير وخلق . أو سارة أخرى هذا الذكا الذى يسكرن الصور المادية لا يستطيع أن يدرك ما فى الكون من حياة ، لأنه يلتقط صوراً متلاحقة بعضها ببعض ، أى أثر بعض ، أى انه يلتقط صورة الكون فى هذه اللحظة . ثم صورته فى اللحظة التى تليها . ثم صورة ثالثة فى التى تليها وهكذا . ومعنى ذلك أن العالم الخارجى فى نظر العقل عازلة عن جملة صور لحظة تلو لحظة كل صورة منها الكون بأسره وهذه الصور تترك الواحدة منها الأخرى لحظة بعد لحظة ، وكل صورة لحظة من هذه الصور تمثل الحقيقة الخارجية فى لحظة من اللحظات . ثم من تساهل بتألف مجموع المتعاقبات الخارجية من أول الماضى الى آخر المستقبل . الا أن تلك الصور تظل مستقلة فى ذهن ، لا يتأثرها الاستمرار أو الحركة التى ترتبط بها جميعاً . مع ان الحياة ليست الا فى وصل هذه الصور المتجزأة . مثل العقل فى ذلك . كمثل الشرط الينبئى الذى يلتقط عدداً من الصور المتلاحقة . لاحياة فى كل منها غلى حدة . فإذا ما دبت فيها الحركة والاستمرار . واتصل بعضها ببعض . كومت حياة . أو شيئاً يشبه الحياة . ولن يكون فى هذه الصور التى تصاننا عن طريق الجواس شئ من الحياة . حتى يتأثر لما تيار الحركة الدائم الذى يرجع أشناتها ويكون منها حقيقة واحدة بطراً عليها للتغير والتبدل كلما مر عليها شطر من الزمان

صحيح أن كل صورة حسب هي جزء من الحياة . ولكن مجموعها لا يكون مجموعة الحياة ، الى أن يتحقق فى أجزائها شرط الاتصال والربط ، فكما أن كل جزء من الخط المنحنى يمكن أن يكون جزءاً من خط مستقيم بدليل أنها يتناسق فى أى نقطة شئت . ومع ذلك لا نستطيع أن نقول . بما أن أجزاء هذا هي أجزاء ذلك . إذن فالخط

المنحنى هو الخط المستقيم . كذلك قل من الحياة والمظاهر الطبيعية . فليست الحياة هي مجموعة المظاهر الطبيعية . على الرغم من أن تلك المظاهر هي الجزيئات التى تتكون منها الحياة .

يستنجد من هذا أن العقل ليس هو الاداة الصالحة لأدراك الحياة . لأن هذا مطلوب فوق مفهومه وأكثر مما يستطيع . اذ العقل كما يتنازع الى استعمال الوجود لصالحه . وهذا الاستعمال يتطلب منه وقف تيار الحياة الذى يديف بالكون ، وتجزئة الوجود فليتمكن من بعضه . فالعقل والجواس آلات للتجزئة . والغاية منها تدمير الحياة لا تفسير الوجود ، أى انها تتناول الوجود فى مظهره ولكنها لا تنفذ الى باطنه . . . ولما كانت المعرفة الحقيقية هي التى تتشعشع مع الوجود فى تحوله ، وتتغلغل فى باطن الأشياء . وتحسب احساساً مباشراً كما يحس الحبل الوديع وجوب الغزل من غائلة الدناب ؛ فالصورة وحدها هي الاداة الصالحة لذلك النوع من المعرفة المباشرة ، لأنها حالة الحياة التى تغل تلك الوحدة العجوبة التى ترتبط أجزاء الوجود .

### التطور خلقى وانثى

لا يمكن أن يكون تطور الحياة على تلك الصورة البشعة القاسية التى وصفها دارون وهنسلر . انما التطور خلق مستمر . وتجديد متواصل . وتغير لا ينقطع .

الانتخاب الطبيعى عند دارون هو الأساس الذى تقوم عليه نشأة الاعضاء والوظائف والأنواع . ولكن لم يكن يتوسى ذلك بالدهب على تعقيه . حتى أحاط به من العصاب والمشكلات ما لم يقر على رده . فكاد يجر صريعاً وهو ما يزال فى يفاعته .

كيف يستطيع الانتخاب الطبيعى أن يضر نشأة حاسة الابصار مثلاً ؟ أولاً ، لا بد أن يعلم بأنه من المستحيل أن تكون العين قد نشأت على هذه الصورة المعقدة من بادى الأمر . فإذا فرضنا أنها تكومت بعد سلسلة من الأطوار . فلي من اليسير أن تقع عقلا سلماً أن تلك الأدوار التى مرت بها عين الانسان تظل فى تمام المطابقة الأدوار التى مرت بها العواس الامبارية لانواع الحيوان جميعاً ؟ مع أن الانتخاب الطبيعى أساسه الامادة المحضة ؟ وعلى من الجائز أن تكون سلسلة المباديات التى تعاقبت على عين الانسان وأذنه وأنفه وسائر أعضائه الأخرى هي التى تعاقبت على أعضاء الحيوانات جميعاً ؟

وإذا ملنا — بدلاً فقط — بأن تلك المصادقة البحرية

النجية جائزة وأنواع الحيوان لتشاء المؤثرات التي تحيط بها جميعا. فما قولك في الحيوان والنبات . وما موعان يسيران في طريقين مختلفين أتم اختلاف ؟ كيف يفتق الاثنان على طريقة واحدة للتأصل ؟ كيف يبرق الحيوان . عن طريق المصادفة . الى اختراع الذكورة والأبوة اداء للكائن . ثم يوفق الثابت من هذا التوفيق وعن طريق المصادفة أيضا ١١٩

كلا ! يستحيل أن يكون هذا الأساس الزاوي قاعدة للتطور ولابد أن يكون في أجزاء الوجود — مهما تنوعت أشكالها — قوة كامنة متشابهة في الجميع . هي الحياة . وهذه الحياة الحالة في كل شيء . نحقق فيه ميلا خاصا وتوجيها معينا يؤثران في كل جرق من جزئياته . وهكذا بطل الجسم المادي يتشكل وينعير حسب ذلك التوجيه الذي تمليه تلك الحياة الدافعة الكامنة فيه . وليس ثمة قوة خارجية تعمل على التطور كما تخيل الداروين وأشياع مذهبه .

هذه الحياة الشاملة تسعى جهدها للتغلب على الجمود المادي وطمس معالمه من الوجود . فهي تتغلب على الموت بالتأصل . وإن ضحت في سبيل ذلك الأفراد : وهي تبدل كل ما تملك من قوة لتحرر نفسها من قوانين المادة وأغلاها : فوقوق الحيوان وسيره وسعيه وكل ما يأتى من ضروب الحركة والنشاط . هو في الواقع تحد من الحياة لتلك الاغلاط والقيود .

كانت الحياة في مبدأ ظهورها أشبه ما تكون بالمادة في جمودها واستقرارها . لأنها كانت تتمثل في النبات وحده . والنباتات كالجماجم في سكونه واستعالة سعيه وحركته : ولكنها ما لبثت أن نشدت الحرية من تلك القيود المادية : وراحت تسعى وراء ذلك المثل الأعلى . فاخترعت أرواح الحيوان . وزودتها بشئ الأضواء التي يستطيع أن يحقق بها شيئا من تلك الحرية المنشودة . ثم ما لبثت أن عقدت آمالها في واحد من تلك الحيوانات جميعا . هو الانسان . فلا شك في أن الحياة تحاول ما استطاعت أن تسخر من قيود المادة . ونحن نضحك ونهزأ اذا مارأينا كائنات حيا يتصرف كما تتصرف الكتلة المادية الجامدة . كأن نزل قدمه فيسقط بقوة الجاذبية كما تسقط قطعة الحجر .

يتضح من ذلك أن الحياة قد سارت في تطورها خلال مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة النبات اذ كانت أقرب ما تكون الى سكون المادة وجمودها

الثانية : مرحلة الحيوان البري كالنحل والنمل الذي يتحرك ويضي . ولكن في حدود مرسومة وخطبة معلومة .

الثالثة : مرحلة الحيوان العفري الذي أخذ يسير في طريق العكر . ولن يزال هذا الفكر سمو ويشد ويستقيم . فهو ذخيرة الحياة وأملها الذي سيحقق لها ما تشتهي من حرية

هذه الحياة التي لا تفتأ تتحقق وافر يرتفع . والتي تلمس الحرية من قود المادة . هي اية عاقبة والحياة اسما على مذهب واحد . ولكنه انه في كل من محدود عبود المادة . وليس مطلق الارادة كما تصوروه الأدمى . الا انه ذات في التخاص من أغلاطها وأصعاده وأغلب الظن أن الحياة ستطير آخر الأمر . ونكاد نوقن أنها ستغلب على الموت . فتحقق لها الحرية والخلود . فكل شيء . جاء في نظر الحياة مادام في الزمن امتداد

وبعد . فما أجمل أن يرتفع صوت برجسوى بشرا بما في الكون من حياة فطاة خالفة . ليقف تيار المادية الذي طغى على أوروبا في القرن الماضي . حتى غمرها بين ثبابه . وكما كنا نود أن نشترك معه في مثل ذلك العرش الذي كان يتربع عليه الله العقل . ولكن على شريطة ألا يدعونا الى نقديس اله آخر . هو البصيرة : لأنها قد تخطى . كما تخطى . العراس

\*\*\*\*\*

## موجز التاريخ الطبيعي

### في علم الحيوان

للسنة الرابعة الثانوية

تأليف محمد كمال محمد

المدرس بمدرسة شبرا الثانوية

نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر .

- يقع في ١٢٦ صفحة . وهو موضح بالرسوم وبه ثلاث لوحات ملونة . سهل الأسلوب دقيق العبارة . وقد عني المؤلف عناية خاصة بصغات الرتب . وذيله مجموعة شقيقة من الاسئلة وهو يباع في مقر اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ نيلفون ٤٢٩٩٢ ومن المكاتب الصغيرة وثمته عشرة قروش عدا الجرة البريد

# في الأدب العربي

## ابن خلدون في مصر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

١

ترددت خلال العام الماضي دعوة لأحياء ذكرى المؤرخ العيلسوف ابن خلدون المناسبة انقضاء ستائة عام على مولده<sup>(١)</sup>، فاستجابت دوائر التفكير والأدب جميع البلاد العربية لهذه الدعوة الكريمة، وأقيمت عدة حملات عليا للاشادة بذكره وخلاله آثاره، ولا سيما في تونس سقط رأته ومطلع مجده، وإن مصر مقام شيخوتته ومثوى وفاته؛ وحظت المجلات والصحف جينا مختلف البحوث عنه. ولكن ناحية من حياة الفكر الكبير لم تلق كبر عناية، تلك هي حقة مقامه عصره، وحصل بها وأثره فيها؛ وهذا ما نريد أن نحكيه في هذا الفصل نحية لذكرى المؤرخ والعيلسوف الاجتماعى الأشهر

غادر ولي الدين عبدالرحمن بن خلدون تونس في منتصف شعبان سنة ٧٨٤ هـ (أكتوبر سنة ١٣٨٢ م)، فوصل ثمر الاسكندرية في يوم عيد الفطر بعد رحلة شاقة. ويقول ابن خلدون في تعريفه، عن نفسه، انه قدم الى مصر ليتكلم منها في ركب الحاج، وانه لبث بالاسكندرية شهرا حينما اتى القاهرة، ولكن لم يتبع له يومئذ أن يحقق هذه الغاية، فتنصد الى القاهرة<sup>(٢)</sup>، وكان قضاء الفريضة حجة الظاهرة في مقادير تونس، واستدان سلطانها في الباس في السفر الى المشرق. ولكن ما يقصه ابن خلدون من الحوادث قبل ذلك يدل على أن مقاديره لتونس كانت فرازا؛ وكانت خشية من بطش سلطانها، وغدر بلاطها. وكان ابن خلدون قد انفق نحو ربيع قرن في خوض غمار السياسة ودسائس القصور، وتقلب في خدمة عظم

سلاطين المغرب والاندلس، وذاق لهم الرضاة وعحر القمة مرارا، وعانى مرارة السجن ولأسر وخطر الملاك غير مرة. ولم تبدأ نفسه المضطربة تصنف المناصرة والصادق والدين الا ان كبره، يوم أعينه الحيل، وعلت الأرزاء والحس، وفقد عظم القصور التي تقلب فيها، وأضحى يتبرم بقضاء تلك المهام الطغانية التي كان يتخذ قضاءها وسيلة للعودة الى الرضاة. عندئذ عافت نفسه غير السياسة ودسائس القصور، فارتد في أواخر سنة ٧٧٩ م، الى قلعة نائبة منزلة بتاحية أولاد عربيل بالمغرب الأوسط؛ وهناك انتظم للحشوات تأليف مدى أربعة أعوام. وأخذ في كتابة تاريخه الضخم، وأتمج منه مقدمة السيرة وعدة مجلدات أخرى. ثم رأى أن يقصد الى تونس ليستكمل مراجعته في مكاتبها. وكانت بينه وبين سلطانها وجشة؛ فاستأنه وحصل على رضائه؛ وغادر مقامه لتونس في أوائل فصل اليها في شعبان سنة ٧٨٠. وهناك اشغل باتمام مؤلفه بتكليف السلطان ورعايته حتى أتمه، ووجهه الى السلطان، ومعه يومئذ بقصيدة طويلة أوردتها في تعريفه<sup>(٣)</sup>، وكان ذلك نحو عامين من مقدمه الى تونس (٧٨٢ - ١٣٨٠ م)<sup>(٤)</sup>

وهنا ألقى ابن خلدون نفسه في معترك جديد من الدسائس، وقصده وجمال البطانة بالكيو العالية لدى السلطان، وأغروه أكثر من شدة باستصحابه الى غزواته ومهامه الخطرة، فتمشى ابن خلدون عاقبة السعاية، ولم يجد في تونس ما كان يشده من هدوء وسكينة. فانتبه فرحة وجود السلطان في تونس، ووجود سفينة مصرية في مرساها تقصد الاسكندرية، فألح على السلطان في الاذن له بالسفر لقضاء الحج، وركب البحر بمفرده تاركا أسرته في تونس. فوصل الاسكندرية كما قدمنا في يوم عيسد الفطر سنة ٧٨١ هـ<sup>(٥)</sup>

كان مقدم ابن خلدون الى مصر اذا، مرعا من القراو وخيفة البطش والخنقة. ولم يكن قضاء الفريضة قصدا مباشرا، بل كان حجة الظاهرة. وكان يرجو بلا ديب أن يقضى بقية أيامه بمصر في هدوء

(١) كان مولد ابن خلدون في رمضان سنة ٧٢٢ هـ - مايو سنة ١٣٢٢ م

(٢) تعريف ابن خلدون، ٤٠، وفي ترجمة المؤرخ نفسه في دليل ترجمته -

راجع، كتيبيلسوف (تاريخ ابن خلدون) ج ٧ ص ٥٥١، وينقل هذا التعريف من

ص ٢٢٩ إلى ٢٣٢ - وسنعود إلى ذلك بعد

(٣) كتابها المجلد ٧ ص ٥٥١ وما بعدها.

(٤) كتاب السيرة ج ٧ ص ٥٥١

ودعة ، وأن نعم بذلك الاستقرار الذي لم تبه له بالمغرب حاجة  
التصال والمعامرة . وكان يومئذ في الثانية والخمسين من عمره .  
ولكنه كان واقفاً للنشاط والقوة ، يتطلع دائماً إلى مراتب النفوذ  
والعزة ؛ وكانت للقاهرة يومئذ موطن التفكير الإسلامي في المشرق  
والمغرب ، وللاطلاع شهرة واسعة في حياه العلم والآداب . فكان  
يرجو أن ينال سطوة من هذه الرعايا والحياة . ووصل ابن خلدون  
إلى القاهرة في أيلول ذي القعدة سنة ٨٤١ هـ - نوفمبر سنة ١٤٣٨ م  
بمرته صغانتها وعطشها وهاؤها كما هزت لطفه ومراطة الرحالة  
ابن بطوطة قبل ذلك بصف قرن<sup>١</sup> . وكان هرت على كثر العصور  
كل من رآها من أعلام المشرق والمغرب . ولا غرو فإن المؤرخ لم  
ير بالمغرب سوى تلك المدن الصغيرة المترامية ، ولم ير بالأندلس  
حيث قصى ردها من الزمن . مدينة في عظمة القاهرة وروعها  
وهو ينفذ للقاهرة أثر مقدمه وبحيها بحماسة ثم عن عميق إعجابه  
وسحره وتأثره ، ويصفها في تلك الفترة الزمالة<sup>٢</sup> . « رأيت حاضرة  
الدنيا . وبتان العالم . وعشر الأمم . ومخرج الفد من البشر .  
وايوان الإسلام . وكسرى الملك : تلوح القصور والآواوين في  
جوه . وتزهو الخوازيق والمدارس والكراكب بأفائه . ونضى  
البدور والكراكب من علمائه : فسد مثل بشاطى . النيل نهره  
ومدفع مياه السماء . يسقي المال والنيل سيحه ، ويجي بهم الثمرات  
والخيرات نجه : ومررت في سكك المدينة نفص بزحام المارة ،  
وأسواقها تزخر بالنعم ... »

ولم يكن ابن خلدون نكرفي مصر . فقد كان المجتمع القاهري  
يعرف الكثير عن شخصه ولحيته : وكانت نسخ من مؤلفه الضخم  
ولاسيما مقدمته الشهيرة قد ذاعت قبل ذلك بقليل في مصر وغيرها  
من بلدان المشرق . وأججت دوائر العلم والتفكير والأدب بطرافه  
مقدمته وبعديتها وروعة مباحثها . فلم يكذب بل بالقاهرة حتى أقبل  
عليه العلماء والطلاب من كل صوب . يقول ابن خلدون في كبرياء  
وتواضع مما . « وأتال على طلبة العلم بها يثمنون الأفاذة مع قلة  
البضاعة . ولم يوسعني عفرا<sup>٣</sup> » وهذا ما تشير إليه التراجم  
المصرية : فيقول أبو المحاسن بن تخرى برحق ترجمته لابن خلدون :  
« واستوطن القاهرة وتصدر للأقراء بالجامع الأزهر مدة  
وأشغل وأعاد<sup>٤</sup> » ويقول السخاوي : « ولتأه أهلها ( أى أهل  
١

مصر ) وأكرموا وأكثروا ملازمته والتزدد عليه . بل نصفوا  
للأقراء بالجامع الأزهر مدة ... » . جلس ابن خلدون  
للتدريس بالأزهر ، والظاهر أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكي .  
وبشرح نظرياته في العمران والمدينة وأحسن الملك وشاة الدول .  
وبعبرها عما عرض اليه في مقدمته . وكانت هذه الدروس حرة  
أعلا من عزير على . وشائق عنه . وساحر ياه . وكان ابن  
خلدون يحدثنا . بارعا واثق المحاضرة ، يخلط الباب سامية عطفه  
وذلاقه . وهذا ما يحدثنا به جماعة من أعلام التفكير والآداب  
المصريين الذين سمعوا أو درسوا عليه : ومنهم المؤرخ الكبير نفي  
الدين المقرئ الذي سمعه ودوس عليه فقي<sup>٥</sup> . وكذا الحافظ  
ابن حجر : « قد درس عليه وانتفع بطفه ووصفه بقوله<sup>٦</sup> » . وكان  
لنا ، فصيحا ، حسن التسلل وسط النظم : مع معرفة تامة بالأسور  
نحصرها منطلقات المملكة<sup>٧</sup> . ونقل السخاوي عن الجمال البشبي  
أنه « كان فصيحا مقربا جميل الصورة ، وعن الزركاكي أن  
محاضراته إليها المنتهى »<sup>٨</sup>

وهكذا استطاع ابن خلدون لأول مقدمته أن يخلط الباب  
المجتمع القاهري . وأن يستثير إعجابه وتقديره : ولكن صفاء  
الائق من حوله لم يدم طويلا كما سنرى . وفي أثناء ذلك الفصل  
ابن خلدون بأثير من أمره اللطاف يدعى علاء الدين الطنطا  
الجواني « فتمله برعايت . وساعده على التقرب من السلطان  
والانصال به . وكان السلطان يومئذ الظاهر برقوق : وقد ولي  
الملك قبل مقدم ابن خلدون بأيام قلائل ( أوآخر رمضان سنة  
٧٨٤ ) ، فأكرم وفادة المؤرخ وأهم أمره<sup>٩</sup> . يقول ابن خلدون :  
« فأبر مقامى . وآفس القربة » ووفر الجراية من صدقاته .  
شأنه مع أهل العلم . وبدأ تحققت أمنيته المؤرخ من الاستقرار  
والمقام الخاص . في ظل أمير يحبه ويكفل رده ، ولم يحض قليل  
على ذلك حتى خلا منصب التدريس بالمدرسة الفصحية . بحوار  
جامع عمرو . وهي من مدارس المالكية في السلطان فيه . ويص  
ابن خلدون في تعريفه . يوصف بحله الأول في هذا العهد<sup>١٠</sup>  
« البقية على صفحة ٣١ »

(١) كتاب الغدرة للامع في أعيان القرن التاسع عشر السخاوي - سنة دار الكتب  
لبنغازية ولم ٢٧٨ تاريخ المجلد الثاني من القسم الثاني - ص ٢٦٢  
(٢) سواديل تقدير الفريديفنيته ابن خلدون ما بعد  
(٣) كتاب أباي العمر في أباي فخر لان حمر المصطفى ( سنة دار الكتب  
الخطية رقم ٢٤٧٦ تاريخ ) ج ١ ص ٧١١  
(٤) الغدرة للامع - المجلد الثاني من القسم الثاني - ص ٢٦٩  
(٥) هكذا اسمه في . النبل الساق . ولكن السخاوي يسميه . الطنطا الجواني .

(١) ولد ابن بطوطة في الحاضرة سنة ٧٧١ هـ - ١٣٥٦ م في عهد ناصر بن قلاوون  
(٢) كتاب المير ج ٧ ص ١٥٢  
(٣) كتاب الخيل همان لان تخرى ردى - سنة دار الكتب الخطية رقم ١١٤  
تاريخ - ج ٢ ص ٣٠٠



# أثر اللغة العربية في العالم الاسلامي

للسردفسون روس

مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن

هذه ترجمة لحاضرة الأولى من المحاضرات الثلاث في العالم  
السردفسون روس باللغة الانجليزية في قاعة الجمعية الجغرافية  
للسنة السادسة المصرية وقد قدمت للجنة على كل محاضرة  
خمس مائة نسخة مترجمة للحاضرين الآخرين تامة على الاعمال الفنية

نهرية

أشعر وأنا أختار موضوعاً مثل هذا لمحاضرة في الجامعة  
المصرية . انه ينطق على المثل القائل « كن يجلب النعم  
إلى يوكاس » أو على حد نهر الفرميس « كن يحمل الماء إلى  
البحر » أو كما يقول العرب « كن ينقل النهر إلى البصرة » أو  
« كن يبيع الماء في حارة القاتين »

إذ كيف يجرؤ شخص مثلي لا يخرج عن كونه تلميذاً يدرس  
العربية أن يقوم يبحث في هذه اللغة العظيمة على مرمى قوس  
من الأزهر ؟ إن اعتذري عن هذا ينبغي أن يكون اعتذار النملة  
أمام عرش سليمان .

وربما قيل غير عوان محاضري أنه تقرير لغوية مبسطة ، فالعربية لغة  
القرآن والحديث وتأثيرها في العالم الاسلامي حتى لا ويب فيه .  
ولكني أرجو أن أسوخ عنواني هذا بأن أين تأثير اللغة  
العربية في تلك الممالك التي تتكلم لغات أخرى ، وتكلمها لا على  
أنها واسطة لفهم العقائد وإثبات الصائغ الدينية بل لأنها عامل  
متبع من الثقافة العامة .

ذلك لأنه ينبغي أن نعلم حتى العلم أن ليس ثمة دين عالمي .  
آخر قامت فيه اللغة الأصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن  
الخطير كما هو الحال في الاسلام .

فإذا اعتبرنا البوذية والمسيحية وهما ديانتان تقومان بالهداية  
فإننا نلاحظ أن كتبهما المقدسة إذا أذيت في ممالك أخرى  
فإنما تداع لغة تلك الممالك . فخذ لذلك مثلاً تلك المجموعة الضخمة  
بمجموعة القوانين البوذية المدونة باسم « السلات الثلاث » (١)  
فإنك تجد ما تقرأ في الصين واليابان مترجمة إلى لغة تلك البلاد .  
وإن لغة الهند الأصلية قد اختفت كما اختفت البوذية نفسها من الهند .  
وقل مثل هذا عن التوراة والانجيل فإنهما يقرآن في الأمم  
المسيحية بلغة كل منها دون أن تقوم العربية أو المسيحية بأي

شيء في حركات الدعاية التي تقوم بها الجمعيات الدينية

وإن الله الواحد الذي يمكن مقارنتها بالعربية من حيث أنها  
واسطة للعالم الديني إنما هي اللغة العربية . على أن هناك اختلافاً  
بين الحائزين من بعض الوجوه وإن اتفقت اللغتان في أن كليهما  
تدبر بخطرها الاسلامي وفي أنها لغة الكلام المنزلي من عند الله  
وأما العربية فبعد أن كل شيء من اليهود يحفظ مصحفاً ولكن  
اليهودية لا تعتبر الآن من الأدبيات الراضية الانتشار وذلك على  
الرغم من انتشار جماعات اليهود في أنحاء العالم . وإنك لتجد طوائف  
وطيقتهم في الهند إثوريا لا يعرفون من العربية إلا قليلاً

ويجب أن تذكر أني إنما أبحث في التأثير اللغوي الذي أحدثه  
القرآن لأن رسالة النبي . وعلى ذلك فأظن أستطيع تقرير تلك  
الحقائق دون أن أضيء إلى الحاضرين من المسيحيين واليهود .

إن التأثير الذي تركته الصالح البوذية والكتب الدينية  
المقدسة في آداب الممالك البوذية والمسيحية لا يقل شأنًا عن تأثير  
القرآن إن لم يكن أكثر في ناحية الفن .

ولكن ما حدث في الصين وفي أوروبا هو أن تلك الكتب  
المقدسة قد أصبحت جزءاً من الآداب القائمة إذ ذاك وكانت تلك  
الآداب غنية بالإنعاش والموضعات الدينية . وفيما يتعلق بأوروبا  
بقول إنه لما كانت اللغات الحديثة قد اشتقت من اللاتينية  
والتقوية القديمة . فانه لما ترجم الانجيل إلى تلك اللغات .  
أصبح ذلك الكتاب هو المؤثر الثابت فيها كما يشهد بذلك الجهد  
الذي بذله لوثري وضع أساس الآلامية الراقية الحديثة .

نعم لقد لعبت اللاتينية بين الكاثوليك دوراً مشابهاً لتلك  
الدور الذي لعبته العربية بين المسلمين « ولكن اللاتينية لم تكن  
لغة التنزيل » .

## الموضوع

ولقد الآن إلى الموضوع الأساسي لمحاضري . وستكون الممالك  
التي يتناولها بحثي هي تلك التي لا يزال الاسلام سائداً فيها ولكن  
لا تتكلم العربية . أعني بلاد القرم وبلاد الهند وما وراء النهر  
وتركيا .

إن دخول الشرق الأدنى والشرق الأوسط والهند تحت  
عزذ العرب — وقد كانوا أنفسهم حديث العهد بالدخول في الدين  
الجديد وقبول « الوحدانية السامية » (١) — تبدأ إلى ثورة عظيمة  
« في الأدب والثقافة » لا تقل في خطورتها من حيث

# موسى بن شاكر

## وبنوه الثلاثة

### للأستاذ قدرى حافظ طوقان

عضو الجمعية الرياضية بدمشق

#### مترجمهم

ظهر موسى بن شاكر في عصر المأمون ولعب في سماء العلم ولاسيما في الهندسة وانفق منه ثلاث مجرم . محمد واحد وحن مغوا في الرياضيات وعلم الهيئة والفلسفة ، وكان لم في ذلك مؤلفات نادرة بحجية . وهؤلاء الأربعة و عن ناهي في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب وأنشروا فيها نفوسهم وأغدروا الى بلاد الروم من أخرجهما اليهم فأحضروا المثلثة من الأصقاع والاماكن بالدل السى . فأظهروا عجائب الحكمة . وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الأقل (١) . . .

وقال إن موسى مات صغيرا وقد خلف أولاده الثلاثة صغاراً اعتنى بهم المأمون كثيراً . ومضى بهم اسحق بن ابراهيم المصفي وأمره بالاهتمام بهم والحفاظة عليهم . وانقطعوا الى العلوم يبحثون عنها مقاصدا فيها واستطلعوا أن يجيدوا أكثرها . فأكرمهم وهو أوجعفر محمد أجل اخوته علماً بالهندسة والنجوم والمجسطى ، وكان جماعة للكتب ، ومضى عليه زمن كان مدخوله السنوي أربعين ألف دينار (٢) . أما أحمد فقد كان دون أخيه في العلم إلا صناعة الحيل فقد تعمق فيها . وأجادها وتمكن من الابتكار فيها . وفاق القدماء المحققين في هذا العلم مثل (أيرن) . وأما حسن فقد كان متردداً في الهندسة . ومع انه لم يقرأ من كتب الهندسة إلا ست مقالات من كتاب اقليدس في الأصول . فقد حدث فيه باستخراج مسائل لم يتخرجها أحد من الأولين . كقسمة الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية . وطرح خطين بين خطين ذوي توال عي . فكان يحلها ويردها الى المسائل الأخرى ولا ينتهي الى آخر أمرها . لأنها أعيت الأولين (٣) . . . وحكى عنه أنه كثيراً ما كان يفرق في الفكر في مجلسه جماعة فلا يسمع ما يقولون ولا يحسه .

#### مآثرهم

ثبت أن المأمون أمر موسى بن شاكر ببناء دجلة من سطح نصف النهار لا يحد محيط الأرض . وقد أجروا حسابهم ذلك في سنجار

(١) ان القويم - القويم من ٩٨٨ و ٩٩٩

(٢) ان القويم - أخبار علماء أخبار الملك من ٩٨٧

(٣) ان القويم - أخبار علماء أخبار الملك من ٩٨٧

فرتها وتعامها . ومن حيث أنها مبدأ عهد جديد . عن ذلك التميز الذي طرأ على العقيدة الدينية ويرجع هذا في أساسه الى ذلك التأثير المجرى الذي أحدثته القرآن في شمس كل من اعتنق الاسلام .

كان القرآن وهو كلام الله الذي أمره على رسوله محمد قول من المسلمين قاطبة بالاحترام والاجلال . أولاً ، من أجل عباراته دانيها لها تقربيل من الله ، وثانياً لما اشتمل عليه من الآيات اللطيفات ، ومن أجل ذلك كان لزاماً على من قبل الاسلام أن يقل معه اللغة العربية . تلك اللغة التي رزقا القرآن وأرسل بها الرسول

وهنا لا نجد لغة غريبة غير مستعملة لا يفهمها إلا عدد محدود من العلماء كما كان الحال في ديانة زرادشت (١) والديانة الهندية (٢) . بل نجد ( لغة حبة ) بتكلمها أولئك القوم الذين دعوا سكان الممالك التي فتحوها الى الدين الجديد .

إن الرقي الفعالي الذي طرأ على اللغة العربية وأصلها الى لغة مهذبة مكتوبة ليعد من أعجب الأمور اذا تذكرنا أنه في الوقت الذي ظهر فيه الرسول لم يكن لدى العرب « أدب لغة » (٣) بالمعنى الذي يفهم من هذه العبارة . وإن استعمال الحظ كان قليلاً الى درجة كبيرة يدلل أنه في أثناء الكفاح بين المسلمين وأعدائهم كما حدث في بدر وأحد كان المتبع أن يقرأ المثلث على حياته من يعرفون الكتابة من الأسرى ولكن العرب قد أخرجهوا صحو الشراء الذين نفى الناس بشعرهم في طول شبه الجزيرة وعرضها ، وإن كان الخلاف لا يزال قائماً بين الباحثين فيما إذا كانت هذه الأشعار قد ظهرت حقاً في الجاهلية أم في الاسلام

والذي يهمنا هو أن بين هذه الأشعار طائفة يمكن اعتبارها والمعرفة الأولى لا في أدب العرب فعسب . ولكن في أدب العالم أجمع . وكان القرآن يمثل النهضة التي كانت شائنة في الحجاز . وإلى أن قام الخليفة عمر بن الخطاب ( الرسمية الدينية للقرآن . لم يكن هناك أي كتاب في الشعر . كما لم يكن هناك أي قانون عربي . وكان الفرس أول من ميزوا أنفسهم بمشاطر بعض القواعد الأخوية من القرآن وبعد هذا أحد الأذكياء في العالم الاسلامي يحفظون هذا اللسان الصعب . وابتدأ الناس بدمس بعضهم بعضاً كل بما حصل من اللغة . ومسد ذلك الوقت . فيما بين أسبانيا ومصر قد أخذ الكثير من الشعراء المطبوخين . الذين كانوا من قبل في حاجة الى أداة يظهرون بها أفكارهم بتضويع الشعر بالعربية . ولقد شرعوا أول أمرهم بما كونا الأشعار البسودية التي لم يكن لهم بموضوعاتها علم مباشر . ثم أخذوا يطرقون من الموضوعات ما تميل اليه قلوبهم . وما يوافق طبعهم وضميرهم .

يقل

كما أجرىه ثانيه في الكوفة . ومن توافن الحساين علم المأمون معه  
 ما حوره القدماء . لهذا الصدد (١) . ومن الذين كلوا الزنج المصحح .  
 وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية . وحددوا ميل  
 وسط منطقة البروج المسماة بالاكليتيك في مرصدهم المبنى على  
 حجر نضداد المتصل بالباب المسمى بالطاق . وعرفوا فيها فروق  
 حساب العرض الأكبر من عروص القمر (٢) . وقد حول ابن  
 يونس في أرصاده الفلكية على أرصادهم . وعمل أحدهم وهو محمد تقويمات  
 لمواضع الكواكب السياره (٣) . ولأبناء موسى في الجيل كتاب  
 يعرف بجبل بن موسى . وهو عجيب نادر . يشتمل على كل مادة  
 وقد يكون هو الكتاب الأول الذي يبحث في الميكانيك وقد وفتت  
 عليه موجودته من أحسن الكتب وأمتها . وهو مجلد واحد (٤) .  
 وهي (أي الجبل ) شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند  
 الناس (٥) . ويحتوى هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي عشرون  
 سها ذات قيمة عملية (٦) . وقد كتبوا في فن الآلات الروحية (٧)  
 وهذا العلم « يبين فيه كيفية إيجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم  
 الحلا . ونحوها من آلات الشراب وغيرها ، ومنفعة ارتياض النفس  
 بفرائب هذه الآلات كقدحى العدل والجور و . . . . . » (٨) .  
 وعلى ذكر قدح العدل وقدح الجور يقول كشف الظنون في الجزء  
 الأول من ١٣٧ ما يلي : « أما الأول ( قدح العدل ) فهو أنه إذا  
 امتلأ عل قدر معين يستقر فيها الشراب ، وأن زيد عليها ولو بشيء  
 يسير ينصب الماء ويفرغ الإناء عنه بحيث لا يبقى قطرة . وأما  
 الثاني ( قدح الجور ) فله مقدار معين أن صب فيه الماء بذلك  
 القدر القليل ثبت ، وأن ملئ . ثبت أيضاً . وإن كان بين المقدارين  
 يتفرغ الإناء . كل ذلك لعدم إمكان الحلا . . . . . وأكثر هذه  
 الآلات توضع أنواعاً من الجيل العلية . وهي مبنية على المبادئ  
 الميكانيكية المنسوبة لغير الاسكندري (٩) . وقد اهتموا بقل أحسن  
 المكتب اليونانية ، حتى أن أحدهم وهو محمد ذهب إلى بلاد اليونان  
 إيفاء الحصول على مخطوطات تبحث في الرياضيات والفلك (١٠)  
 واستعملوا معنى نيكوميدس Conchoïd في تقسيم الزاوية إلى ثلاثة

(١) ابن حنكلا . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨

(٢) سيدو . تاريخ العرب ص ٢١٠

(٣) . . . . . ص ٢١٠

(٤) ابن حنكلا . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٩

(٥) ابن فضل . أخبار البلاد . أخبار الحكام ص ١٠٨

(٦) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٢٢١

(٧) الاصارى . لرشاد القاعد ص ١١٣

(٨) . . . . . ص ١١٢

(٩) كتاب تراث الاسلام ص ٢٧١

(١٠) كاجورى . تاريخ الرياضيات ص ١٠١

أقسام متفاوتة (١) . واستعملوا الطريقة المعروفة الآن في إنشاء  
 الشكل الاهليلجى (٢) . أما الطريقة فهي أن ترزق بوسطين نقطتين .  
 وأن تأخذ بخيط طوله . أكثر من ضعف المسافة بين النقطتين . ثم يمد  
 ذلك تربط هذا المحيط من طرف . يرتصه حول الدويرين . وتدخل  
 فيه قلم رصاص . فتدارق القلم يشكون الشكل الاهليلجى . وتسمى  
 النقطتان محترق الاهليلجى أو مؤرسه . وفي أحد مؤلعاتهم في  
 الهندسة استعملوا القوس المعروف بقانون (هرون) لمساحة المثلث  
 إذا علم طول كل ضلع من أضلاعه (٣) . ولا ينوتنا أن نذكر أنه  
 نسب إلى أبيهم موسى القول بأغاثية . بدلنا على ذلك ما جاء في  
 كتاب بسانط علم الفلك للعلامة صروف الذي يقول : « وهذا  
 التفاعل بين الاجرام السماوية الذي يطلق عليه اسم الجاذبية العمومية  
 انتبه له بعض العلماء من قديم الزمان . فأشار إليه بطليموس صاحب  
 كتاب المجسطى حاسباً أنه هو الذي يجعل الأجسام تقع على الأرض  
 متجهة نحو مركزها . وهو الذي يربط كواكب السماء ببعضها ببعض  
 ويقال أن موسى بن شاكر المهندس الذي نشأ في أوائل القرن  
 الثالث الهجرى انتبه له أيضاً وقال به . . . » (٤)

### مؤلفاتهم

كتب بنو موسى في موضوعات مختلفة : في الهندسة والجبر والطب  
 والمساحة والخروطات وعلم الهيئة . وقد أجادوا في ذلك إلى درجة  
 أثارت إعجاب كثير من العلماء . فمن تأليفهم كتاب بنو موسى في  
 الفرسطون . وكتاب مساحه الاكرو . وكتاب قسمة الزاوية إلى ثلاثة  
 أقسام متساوية . ووضع مقدار بين مقدارين ليرتال على قسمة  
 واحدة (٥) . وكتاب يبحث في الآلات العمرية (٦) .

ولأحدهم وهو واحد كتاب بين في بطريق تعليمي مذهباً هندسياً  
 وهو ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة .

ولحسن : كتاب الشكل المدور والمستطيل . أما محمد بن كتاب  
 حركة الفلك الأولى . وكتاب الشكل الهندسى . وكتاب الجزء . وكتاب  
 في أولية العالم . وكتاب على مائة الكلام . وفي الفهرست ينسب إلى محمد  
 كتاب الخروطات . ولكن كتاب كشف الظنون يقول في  
 هذا الكتاب ما يلي : « . . . وقال أبو موسى شاكر الموجود من  
 هذا الكتاب سبع مقالات وبعض الثامنة . وهو أربعة أشكال .

وترجم الأربع الأول منه أحمد بن موسى الحمصى . والثلاث الأواخر  
 ثابت بن قرة . . أصلحه الحسن واحد بن موسى بن شاكر (٧) . . . »

ناظر — فلسطين قدرى حافظ طوقان

(١) حنك — تاريخ الرياضيات ج ٢ ص ١٧١

(٢) . . . . . ج ١ ص ١٧١

(٣) كاجورى . . . . . ج ١ ص ١٠١

(٤) صروف . بسانط علم الفلك ص ٢١ ر ٢٢

(٥) ابن قديم . الفهرست ص ٣٧٩

(٦) الاسطرى . لرشاد القاعد ص ١١٢

(٧) كات سمر — كشف الظنون ج ٢ ص ٢٩٩

# طرائف من شعر الشباب

## مناجاة غدير

الأستاذ محمود الحبيب

لم نغص يا غدير قط عدائاً  
أر ندق يا غدير للحرى طعماً  
أر نقابل لدى الحياة صداماً  
كف عدائنا ولست نعرف وعماً  
أنت يا أيها الغدير ظروب  
ناعم اليك لست نزعج بروما  
مطحن إلى الحياة لمبوب  
لست قدوى عن الحياة شيئاً  
يا غدير الصباح زنى عداً  
وأملأ القلب من عائلتك وجداً  
كل لحى سواك غاد هداً  
يا غدير راقد وعجبك وعماً

\*\*\*\*\*

## في الليل

لكنى يا طور الانعلاى اقبل  
عاد بصوتك الخلاب  
رضى يا حصون لا تقاضى  
عذب الهوى ومن العتاب  
طالب لى يجلى بعيداً عن السد  
أر ، فى بحيرة من الأصحاب  
فتنى سكة الليل ، والبد  
ل يكون بطير بالأللاب  
واخترافى الظلام حتى كادى  
قطعة سه فى سواد اهاب  
وكان السها صحراء خرسا  
ها نغمها كرمض الرباب  
وكان الليل الهم عباب  
وأنا ما لج بهذا العباب  
بين شطين من ظلام قد امتدا  
امتداد العصور والاحفاب

نام دهر الرياض فى سر العث  
س ونامت على الصرح الرواقى  
وسرت روح شاعر يمد الخد  
ورمت فى الليل بين السحاب  
انما الليل الذى يعرف الليل  
لوما فيك من معاني عذاب  
قهر الليل ، انه مikel السد  
رووحى الهوى وسر الشباب  
آمين عزت المحبير

\*\*\*\*\*

## الله وراء كل شيء

شئت به هلك هداما  
وتجلى الهما فى هراها  
رعت أن طيها أزل  
كدفا وحق من سواها  
ولام العوس ان تلف مولا  
ها حفا بها عصت مولاها  
منة للمقول لم تك شيئاً  
ثم كانت فأبكرت من براها  
فجبال السماء ليلا ومائل  
سفن السيرات من أجراها  
سعى موجها الأثير ولا به  
لم الا رانها مرماها  
جاورت فى العيون حد التقصى  
نراها ولا نكاد نراها

سالى على الخوس فوق حرير  
سبح أربع بعض حب  
كنت على "سروى" عند تدبر  
بلا أنسى من عابيه شيا  
كل ما فى الوجود حلو جميل  
بعث البشر فى القواد مدا  
وسم الصباح عند ليل  
باعت فى الروع دنراً ذكبا  
سأد حول الكون لولا غدير  
عقرى الخيال سالى البان  
تأثر عاذنى معنى صبور  
رائق الحس منيع المعاني  
زاده الصبح والكون رواء  
وكناه الربيع طلاء ظليلا  
وحناء الشباب به مساء  
هوى الماء دافئاً مليلا  
يا غدير الصباح هيجت قلبي  
أنت للنصر رحمة وعذاب  
لست أدري وقد غلكت لى  
أترمت أم عراك اتعاب؟  
يا غدير الصباح لحبك عذب  
باعت فى القواد شتى المعاني  
يا غدير الصباح هل أنت صب  
تعرف البعد فى الهوى والتداني؟  
أى معنى أردت ان فرادى  
حركته لما تقوى شعوب  
وبح نضى لقد ملكك ودادى  
عرفت الخشوع كيف يكون  
هيه يا أيها الغدير طاقى  
إن ترمت أو مضكت سمج  
يا غدير الصباح أفصح وزدى  
أب قلبي بما تقول ولوع  
ان ترمت يا غدير معنى  
من دواعى السروز ذاك القاء  
واذا ما نيك حركت قلبي  
فقلبي لكل ماك رنا  
لست يا أيها الغدير بشاك  
كف تشكو ولست تعرف ظلالا  
لست يا أيها الغدير مالك  
كف نكى؟ أنت تعرف هدا  
لم تجرب شماعة من عذب  
أو محمل إمارة من صديق  
أو تقاسر الساد بعد ديو  
أو لقان الظنون بعد وثوق  
لم تسد بحموة من حبيب  
أو تعذب بعيرة وأوياب  
أو تقاضا هتة من رفيق  
أو نزوع بيوة من صحاب  
لم تصادف تقاضراً من دعى  
أو تبادر بلفظة من طيس  
أو تشاهد تقاولاً من عى  
أو تخرج اعانة من خيس

ان نطالع ابيصرنا منداها قال الله رها منهاها

واسأل الوردة اكتب كل لون من كاهها ومن سماها غذاها؟  
ألها الأوراق كتب قدير فأونا ثم الشفاء السعاه  
ابردنا عذراء من خطر كم في حياء ثوردت وجتاه  
ودعنا ملكة الزهر لنا ألبها الرياض تاج داه  
فأصبح للجواب بها نجدها باسم من حاكها تحرك داه

شجرت في الروص مشهات شهوة الأكلين فاطم جناها  
ذقت عذبي فما أمر جناها ثم عذبي قتلها أجلاها  
ما اختلاف الطعم والماء فيها واحد، والتراب أصل غذاها؟  
صاغها مثلها أراد طبع قد تينا عن ذاته الأشما

ثم سائل بلابل الأبلق تشدو مبر الاملاك لمن غذاها  
وتتاجي القلوب وهي تقي فتذيب القلوب في تجواها  
من يرى هذه المهاجر عيدا فأ وأنا قيثارة في لهاها؟  
انه مبدع كما الطير ريشا وجهاها في الجور ملكا وجهاها

هذه النحلة الدقيقة خلقت كيف تسمى وكيف تبنى قراها؟  
هذه النحلة اكتب حرات من طهي شهدها وسل حماها؟  
قل لشمس النهار من جلاها واسأل الارض من أدار رحاها؟  
واسأل الريح كيف ترحي سحايها واسأل الحب كيف يهسي حياها  
ثم سائل يرونها مشعات هل تضج الرصد خوف أذاها  
واسأل الدج كيف شب لظاه واسأل الراسبات من أوساها  
ملكها في الثرى وأعلى ذراها قادر في غد يحل سجاها

ضل في الية من أبي الرشد نيا يا أبا العقل لا تكن نياها  
يجمل العقل كنه وهو عقل وجدير أن يدرك الأكناها  
قل له ما الاتير وهو قتاد انت يحمل رسالة أداها؟  
نم ما الكبرياء وهي قريب منه وهو البعيد عن معناها؟  
قل له ما ارتباط جسم يروح ضل فيها دراسة واكتناها؟  
هل أعنا الأعصاب حين أصاحت أذاها واذرت مفتناها؟  
أو أعنا القلب أيضا صيفا تستند الأبدان منه قراها  
أو أعنا الأناس مطردات وهي في النوم لا تق رتناها  
اب خلف القول ربا حكما أودع الكائنات سر بقها

عبد المفقى المشاوي

المدرس بالمسومة الخديوية

## ابن خلدون في مصر

« حبة المشور على صفحة ١٦٩ »

قد شهد بهرة من الأكابر أو علم السطان لشهوده . وانفرا  
حول المؤرخ والتي ابن خلدون في ذلك الحفل خطبا بليغا .  
يحرص على إيراد نصه . وقد تكلم به بعد الديباجة عن فصل  
العلماء في شد أزر الدولة الإسلامية . وعن تغلب الدول ثم  
أشاد بما لدول السلاطين المصرية من فضل في نصره الاسلام .  
واعرازه . ومن مهم في إنشاء المساجد والمدارس . ووزعاه العلم  
والعلماء والقضاة . ثم دعا لملك الظاهر . وأشاد بزمه وعمله  
وعقله . وعطف بدمعته على نصه . وما أوله من شرف المنصب في  
تلك العبارة الشعرية : « ولما أصبحت في اللج الأزرق . وخطوت  
من أفق المغرب الى أفق المشرق . حيث نهر النهار ينصب من  
صعقة المشرق . وشجرة الملك التي اعزها الاسلام تهتز في دوحه  
المعرق . وأزهار الفنون يسقط عليها من غصن المورق . أولوني  
عتابة وتشريفا . وغروني احسانا وعسروفا . وأوسعوا مني  
إيضاحا ونكرتي تعريفا . ثم ألهوني للقيام بوظيفة السادة المالكية  
بهذا الوقت الشريف . . . الخ »

انقل مرق

البيحد نية .

(١) لم يرد وصف هذا المخطوط . ولا من هذه المخطوط في أصول التصريف .  
المطبوعة المقتبة طابع ابن خلدون ( كتاب العم ) . ولكنها يدور في نسخة  
خطية لم من التصريف تحتفظ بدار الكتب المصرية ( رقم ١٠٩ أم خارج ) -  
( من ١٠٨ - ١١٠ ) ونسخة التصريف للتدولة تحت في ترجمة المؤرخ  
والتصريف به عند مستهل سنة ١٢٩٧ هـ ( وأصح كتاب العبر - نية ولا في ح ٧  
من ١٢٦٦ ) حيث يحتمل ابن خلدون أصول التصريف من نصه . ولكن نسخة  
دار الكتب المخطوط التي ذكر في نهايتها أنها تلك عن نسخة أصلية التوثق تحتوي  
على ذلك على عدة فصول أخرى من حياة ابن خلدون في مصر . كتبها بأسباب  
من ولاية وظائف التدوين والقضاة . وعن سيرة لهند السلاطين في سلطان مصر  
وملاططين المغرب . وهي بعض حوادث مصر المخطوط يومئذ ثم سقره الى الشام في  
ركب الملك الناصر فرج . ولما ملك التار في ديورثك في دمشق وما ذكر فيها  
من الأحداث ثم مره الى مصر . وينقل ذلك كله فليلاط ظنية واجتماعية  
لصغر الظاهر والحوادث السياسية على طريقته في الهندسة . وبملي ابن خلدون  
في رواية حوادث حياته هذه من سنة ٤٠٧ هـ . أم في ليل وقته بنصر عام فقد  
وتنقل هذه الفصول في النسخة المخطوط المذكورة نحو أربعين صفحة كبيرة ( من من  
١٠٧ من النية ) . وهذه النسخة من قر ندم ليا بها بعد .

# في الأدب الفارسي

## نظرات في الأدب الفارسي

### منذ نشأته إلى إغارة التار

للدكتور عبد الوهاب عزام

بهما تختلف الآراء في تاريخ أقدم أنارة من الأدب الفارسي الحديث فإن مؤرخا يستطيع أن يقول أن ظهور هذا الأدب صحبه ظهور الإمارات الوطنية في إيران ، هذه الإمارات بعثت الأمل في نفوس الفرس وأتاحت لهم فرصة يستطيعون فيها التعرف بالمداخ وغيرها إلى أمراء يفهمون عنهم ، ويسمجون بهم ، ويسرم أن تحيا آداب لغتهم وآثار آفاتهم .

وأمر آخر يستحق نظر مؤرخ الأدب الفارسية ، هو ظهور هذه الآداب في الديار النائية عن البلاد العربية وعن بغداد حاضرة الخلافة والمدينة الإسلامية ، إذ كانت هذه الديار أبعد من سلطان الأدب العربي الذي كان ترجح حضارة الاسلام كلها احتيا طوية ثم استقلال الإمارات كذلك يبدأ في الأقطار النائية ، وانما تنقص الارض من أطرافها . ومن أجل ذلك أتبع لخراسان البعيدة مهد أول دولة فارسية عظيمة في العصر الإسلامي أن تكون مبعث الأدب الفارسي الحديث . ولم نزل هذا الشرف فارس مهد الدول القديمة على تميزها في العلم وتقديرها على خراسان فيه . حتى يقول ابن أحد الكتاب كاتب الأمير اسماعيل بن أحمد الساماني :

لا تصحون لخراسان وأبنت له بحر من العلم أو كنزا من الأدب وانجب لمن يلاذ الجهل مشوه إن كان يهرق بين الرأس والذنب يريد بلاد الجهل ما وراء النهر وجهات خراسان

ولي المأمون طاهر بن الحسين خراسان ثم جعلها ولاية لغزير فاستمروا يلونها حتى سنة ٢٥٩ نحو ٥٠ عاما . ولكنها كانت أماره صغيرة قصيرة المدة . وكانت الأسباب لما تنبأ لأبغاث الأدب الفارسي . ثم بنو طاهر لم يتنوا بالأدب الفارسي . وروى أن رجلا أمدي كتابا إلى عبد الله بن طاهر وهو في بساير فساله ابن طاهر ما هذا ؟ قال قصة (دأق وعذراء) التي ألفها بعض الحكماء لذلك

أوتروان . فقال الأمير يحيى قوم خرا التفرآن ولما في حاجة إلى غير القرآن والحديث فالتنا ولهذه الكتب التي ألها المجرس ثم أمر فألقى الكتاب في النار . وأمر أن يحرق كل كتاب في ولاية بلغة المجرس . ويقول عروى عن آل طاهر : أنهم لم يكن لهم اعتقاد في لغة الفرس

وفي سنة ٢٤٧ هـ سنة موت المتوكل طهر في الشرق يعقوب بن ابيث الصفار وهزم جند الخليفة أول الأمر وقال — كما يروى نظام الملك — إنه يريد حلق الخليفة ، وكان شبيها غيا يقال . وخلفه أخوه عمرو إلى أن استجد الخليفة المعتمد بن سامان فهزموه وأزالوا دولته .

والفرس يرون في يعقوب بطلا فارسيا لأنه أول تاجر على الخلفاء . أقام سلطانه على رغبتهم أكثر من أربعين عاما . وقد سرغت لهم هذه العقيدة أن سموا إلى طفل ليعقوب أنه تطلق بأول بيت من الشعر الفارسي الحديث ، وفي الحق أن بلاد الفرس لم تعد إلى حكم الخلفاء الحقيقي بعد ثورة يعقوب

ولكن أول دولة فارسية عظيمة لها أثر يذكر في الأدب الفارسي كانت الدولة السامانية . والسامانيون ينسبون إلى بهرام جورين أحد أعيان الفرس الذي ثار أيام البساسين على كبرى بزرز ، والبيروني يؤيد هذه الفسفة . وقد بعثت الأدب الفارسية مع هذه الدولة — فيما سلم —

وبينا كان السامانيون مشغلين في خراسان وما وراء النهر ظهر موبريه وعظم سلطانهم حتى استولوا على بغداد سنة ٣٣٠ هـ ، وسافروا نسيم إلى بهرام كور أحد ملوك السامانيين : وما والوا يصرفون الأمور حتى أدبيل منهم للفنزوية ثم للسلاجقة .

ظهرت دولة بني سبكتكين في غزنة وأدبيل لهم من ساداتهم السامانيين أو — كما يقول بدیع الزمان — أظلت سمس محمود على أنجم سامان

وسبكتكين تركي لا فارسي ولكنهم تمكن نص في بلاد الفرس . وكان لدولت شأن عظيم في آدابهم وجاء السلاجقة ففسخوا كل هذه الدول . وكان لهم من السلطان وبسطه الملك مالم تبع لدولة قلم من غير الخلفاء : وكانت مع هؤلاء أو بعدهم دول ذات شأن : بها



المولة الزبارية في طبرستان التي سماها شمس المعالي قابوس ر  
وشكبير وابنه منوچهر تلك المعالي وحفيدة كيكلوس عنصر المعالي .  
ودولة ملوك خوارزم الصغرى التي قضى عليها محمود وملوك خوارزم  
المعظم الذين تسلطوا على معظم إيران قرناً وربع قرن والذين كانوا  
سبباً في إغارة التار وكانوا أول حكام . والدولة القوية التي  
قضت على الغزنويين في أفغانستان

هذه هي الدول التي صرفت أمور الفرس منذ القرن الرابع  
المجهرى . ويرى بها أن الفرس لم يعلموا في إقامة دولة عظيمة نظم  
أرجاء بلادهم ، وإنما كان السلطان الشامل لدولتين تركيتين الغزنوية  
والسلاجقة ، وما عرفنا أن ثروات فارسية عظيمة حاولت التخلص  
من هاتين الدولتين . وهذه مسألة جديرة أن تعبر آراء الذين يريدون  
تفسير كل حركة في إيران في تلك القرون بالعصية الفارسية .

الآن نرجع إلى الأدب الفارسي نراقب منشأه ونعقب تطوره منذ  
بدأ إلى عصر التار ؛ فاما ما بعد التار فخرجي الكلام فيه إلى مقال آخر .  
انا لا نعرف شيئاً عن الشعر الفارسي قبل الاسلام حتى ليظن  
أن الفرس لم يكن لهم منه حظ كبير ، ولا مر ما نسب بعض كتاب  
الفرس أول شعر فارسي إلى بهرام جور ، وقالوا : انه أخذ الشعر  
من العرب اذ تروى في الحيرة . يذكر هذا عمدة في باب الآداب  
وشعر قيس في كتاب المعجم ، ويزيد الأخير أنه قرأ في بعض الكتب  
الفارسية أن علاء عصر بهرام لم يستجوا منه إلا قول الشعر ، وأن  
أذربايجان وروادستان الحكم بالغ في نصحه ليترك الشعر يتزعاجن  
معانيه ؛ ثم يقول إن بهرام أتصح وبنح أولاده وذوي قرابه أن  
يقرضوا الشعر . ثم يقول : من أجل هذا كانت مدائح باربد  
وأغانيه عند كسرى يروى لها متودة لا نظم فيها .  
ويقول ابن قتيبة :

والعرب شعر لا يشركها أحد من الأمم إلا عاجهم فيه على  
الأوزان والأعاريض والقوافي والتشبيه ووصف الديار والآثار .  
والجبال والرمال والقلوات ونرى الليل والنجوم . وإنما كانت  
أشعار المعجم وأغانيهم في مطلق من الكلام « متور » ثم مسح  
بعد قوم منهم أشعار العرب وضموا الرزق والعروض فتكلموا  
مثل ذلك في الفارسية وشبهوا بالعربية .

وأما في العصر الاسلامي فلا ريب أن الشعراء الذين يعرفهم تاريخ  
الأدب لا يتقدمون لعصر الساماني . غير أن في كتب الأدب الفارسي  
روايات عن شعر قيل قبل هذا العهد ، وهي على علانها لا تخلو من  
دلالة على أدب فارسي أقدم مما يعرف عسى أن يبينه التاريخ يوماً .  
يقول محمد عوف معطلا ظهور الشعر الفارسي الحديث ما يأتي  
مترجماً مختصراً : « حتى اذا سطعت شمس اللغة الخفيفة على بلاد  
المعجم بجوار ذوق الطابع الخلقة من الفرس فضلاً عن العرب

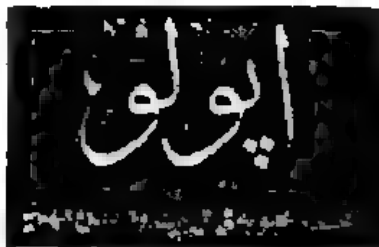
واقننوا من أبرارهم ووفعوا على أساليبهم ، اطلعوا على دقائق  
البحور والديارات وطلعوا الورق والقافية والردى والروى والاطا .  
والاسادر والارطان والفواصل ثم سجدوا على هذا التوال  
ثم يروى أماناً أودعة لشاعر اسمه عباس مدح بها المأمون  
في مرسلة ١٩٣ منها :

كس بربر موال بیش آرسن جبر شمری نکست  
مر . زبان پارسی را هست تا این موقع بر  
لیک زان کفتم من این مدحت ترا تا این لبت  
کیدر از مدح وثناء حضرت و زیب و درین  
وترجتها :

ما قال أحد قبل شعراً كهذا . وما كان لسان الفارسي عهد به .  
وانما نظمت لك هذا المديح لتزدان هذه الفتة بمدحك والثناء عليك .  
فأعطاه المأمون ألف دينار عتياً ، وبالغ في كرامته — يستمر  
عوف فيقول : « ولم ينظم الشعر الفارسي أحد بعده حتى كانت نوبة  
آل طاهر وآل الكاظمي ظهر شعراء قليلون ، فلما كانت دولة السامانيين  
ارتفع علم البلاغة ، وظهر كبار الشعراء ،  
ويروى شمس قيس أن أول من قال الشعر الفارسي أبوحنص السخدي  
من سغد سمرقند وكان حاذقاً في الموسيقى ، وقد ذكره أبو نصر الفارابي  
وصوراً لآله الموسيقية وقد عاش حتى سنة ٣٠٠ هـ . ونسب إليه هذا البيت :

أهوى كوهی در دشت جگر نه رودا ؟  
جو خدا در ديار ديار جگر نه رودا ؟  
كيف يد وهذا الظي الجبل في الصحراء ؟ ، انه لا حبيب له  
فكيف يسير بغير حبيب ؟ »

فاما رواية عباس المروى فان المؤرخ الناقذ يرتاب فيها لأن  
غريباً ان يبدأ الشعر الفارسي بهذا الأسلوب المتن ثم يصت الشعراء  
أكثر من مائة سنة لا يؤثر عنهم شيء . وأما رواية السخدي فراجعة  
إلى العصر الذي بدأ فيه الشعر الفارسي وسجل لنا التاريخ بعض شعرائه .  
وهما يمكن من شيء فاتفق مؤرخي الآداب على أن أول شاعر  
فارسي عظيم هو أبو جعفر الرودكي شاعر نصر بن أحمد الساماني —  
الذي يسميه مروف البلمكي ( سلطان شاعران ) ويقول فيه البلمكي :  
أنه لا نظير له بين العرب والمعجم ، ويعترف البلمكي والعنصري بتقدمه .  
نقح .



# الادب الياباني

## للأستاذ أحمد الشنتاوى

كانت اليابان إلى عهد قريب معجزة عن انظار العالم المتدين بحجب كثيفة لا يكاد المرء يبين ما جرى وراءها من أبناء تلك الأمة العظيمة من عادات وتقاليده. وكان الادب الياباني نوع خاص من أغصان مظاهر الحضارة اليابانية أمام الباحث. ويرجع ذلك إلى صعوبة اللغة اليابانية وغموض أحرفها المبهجة وعدم إقبال الأدباء والعلماء على تعلمها. مع أن الآداب اليابانية غنية ومادتها متنوعة في أنواعها، وقد بحق بين الآداب العالمية الرائدة

وليس هناك أمة من الأمم تكون آدابها جزءا هاما من تاريخها مثل أمة اليابان. فأفراد الشعب هناك على اختلاف طبقاتهم يستطيعون الشعر وبطربون لموسيقاه. بل هم شعراء بليغتهم لا فرق في ذلك بين النساء والرجال؛ فالأمة كلها تشترك في مهرجان الشعر الذي يقيمه الامبراطور كل عام، يأخذ كل ياباني في إنشاء أطيب ما جادت به قريحته. وبذلكرون أن الامبراطور، ميدي، Meidi وهو جدميكادو اليابان الحالي كان يشجع هذه المهرجانات الشعرية. فيخصص الجوائز القيمة للفائزين. وقد ألف مرغزو مائة ألف مقطوعة شعرية. أما شعب اليابان يافق مروج الادب فلا يقل عن شغفه بالشعر. لهذا كانت الآداب اليابانية غنية بمادتها وأنته في أسلوبها انسانية في معانيها، ولكن تلك الأكراب العالية لم تتخط حدود اليابان الجغرافية لصعوبة اللغة التي كتبت بها. ثم زاد من صعوبة تلك اللغة دقة المعاني وعن الأفكار التي حملها اليابانيون. ولما لا تصدر الامن أبناء الشرق الصميمين في مدبثهم الشرقية، ويكفى أن تقول ان كلمة « امرأة » لها في اللغة اليابانية ما يزيد على أربعة وعشرين لفظا مرادفا. كل لفظ يستعمل في حالة معينة وظروف خاصة حسب مكانة المرأة المخاطبة الاجتماعية أو الشخصية. أو درجة الاتصال بها. كذلك لفظه « أنت » لها ما يقرب من اثني عشر مرادفا؛ وهذا التعدد في الألفاظ يدلنا على مقدار الدقة التي يتوخاها الياباني في تعبيراته الاجتماعية والأدبية. وليس هذا في نظرنا دليلا على رقي اللغة أو غناها فقط. اعمايدل كذلك على الشعور الدقيق والحساسية الراقية، والآداب العالمية في لبها وجوهرها أحاسيس دقيقة وشعور متدفق. وإذا كان من التصوير الياباني له أثر واضح على الآداب الأوروبية فانما لم نسمع قط أن الآداب الغربية متأثرة بالآداب اليابانية، ولم يجمع

هذا أن يكون العكس صحيحا. فالآداب الياباني عاصم من القوام المديد، لكثرة من الآداب الأوروبية العالمية. لجميع المؤلفات القليلة من الإنجليزية وفرنسية وألمانية وروسية فلت في اللغة اليابانية. وهذا دليل واضح على تعلق هذا الشعب الناهض بالآداب على اختلاف أساليبها

والعصر الذهبي للآداب اليابانية الكلاسيكية هو عصر « هانين » Heian 710 - 1185. إذ امتدت فيه الآداب اليابانية وعلقت فيه عدة قصص غرامية وأربعة كتابات لم ينح من الفترات الأدبية اللاحقة. ولعل أهم ما بلغت أنظر في ذلك العصر هو ظهور أدبيتين يابانيتين شهيرتين وهما « موراساكي » Murasaki و « سي » Sei. وموراساكي اسم ياباني معناه وهرة العنبر وعما حبه أديبة في أسلوبها فخامة وحلاوة وطفرة ليه يينا « سي » ومعناها الدور تخار بشعورها تعبيراً أسلوبها السهل المنيع. وأشهر قصصها ثلوراساكي هي قصتها المسماة غنى غنى Gengi وهي وصف بحكم وصوره طبق الأصل وملاحظات دقيقة مدققة عن الحياة في البلاط الياباني في القرن الحادي عشر. وهي كثيرة التثنية بالحياة في بلاط لويس الرابع عشر. وقد اتخذت لها بطلانته « غنى » وهو عبارة عن دون جويوان آخر أي مخلوق حركي معنى الكلمة. يأتي طائفة من الأنفال دون النظر إذا كان ما يأتيه يتمشى مع الاعتبارات الدينية أو الانسانية أو الاجتماعية أو لا يتمشى. إنما كل هذه أراءه شوائب وملاذه. فكانت له عدة مخاطر غرامية. وهذه القصة تعطيك صورة واضحة صادقة للحياة اليابانية الاجتماعية في عهد « موراساكي ». ولاتسل عن العذرة والروعة التي كتبت بها الحوادث الغرامية التي خاض عمارها « غنى » وكل ذلك في أدب وحشة وتورع.

أما الأدبية الأخرى « سي » فكانت معاصرة لموراساكي وتعيش معها في البلاط الياباني. ولقد عرفت بالكثيراء والصلابة في رأيها وكتاباتها ملاهى بالنقد والتجريح كذلك كانت لها قدرة على وصف الطبيعة وماها من حيوان وطيور وصفا بليغا دقيقا ولندكر هنا قطعة لها قصيدة في وصف حصول السنة الأربعة كانت ان الذي يسحر في الربيع هو النجم يتبادى في مشيته على قمم الجبال. بينما كل شيء يحيى. ورويدا رويدا. وقطع السحاب اللارودية تسبح في الفضاء. جماعات جماعات

أما في الصيف فالذي يسحرني فيه هو الليل... يبعثني من القمر الخير... وتسحرني الليلة الليلية. حيث يطير في جوارها الخفايا الحياض المشعة هنا وهناك. وإذا تساقط المطر في تلك الليلة فانه يزيد في جمالها وسحرها.

لأدواباته كتبها كلها . طمأنا ولكننا لا نسى أن معظم كتاب اليابانيين القدماء كتبوا آثارهم شعرا لأنهم عشقوا الشعر وطربوا لأنغامه الموسيقية فألهمهم ذلك عن كل شيء آخر . « وبكلماته » هذا خالق العرمة اليابانية التي تصف الحياة اليومية وتغفل في أعمائها وتكشف عما بها من محاسن ومعايب . وتعبّر عما تخلج به قلوب الآلاف من المظلومين والمساكين .

ظل الحنان على هذا الموال حتى الثورة اليابانية التي شنت لطاعها عام ١٨٦٧ والتي يرجع سببها إلى الروح الفرية التي هادت تنسرب إلى بلاد اليابان الحادثة الملمطة حرالي ذلك الوقت . فتأثرت الآداب اليابانية كما تأثر الفن الياباني . كذلك لم يسل من هذا التيار الجديد الحياة الاجتماعية نفسها . فتغير سلوك الفرد ونظام الأسرة . حتى المساكن وأنواع الأطعمة دخل عليها شيء كثير من التعديل والتغيير . وغذى المجتمع الياباني شيء آخر جديد مغاير لليابانيين إبان عهد هاتين أوساكاكو . وبدأ الشعب الياباني يقف على مسرح الحياة نفسه بعد أن كان إلى هذا العهد مشاهدا متفرجا لما يقع بين ظهرانيه . إذ بعد أن هدا تيار الثورة وخذت الحروب الأهلية حوال سنة ١٨٨٠ ظهر في الأفق شعاع جديد لامع يبشر بمقتبل أدبي جديد لم تلبث أن أشرقت في أثره شمس الآداب اليابانية الحديثة وهي موضوع الكلام في مقالنا الثاني إن شاء الله .

## حافظ وشوقي

للدكتور طه حسين

ظهر هذا الكتاب القيم حديثاً وهو مجموعة ما أنشأه الدكتور في هذا الموضوع الطريف . طبع طبعاً حسناً على ورق صقيل في زهاء ٢٥٠ صفحة . يباع في المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد . وثمنه ١٠ قروش .

## في الصيف

للدكتور طه حسين

يبيعه شباب المقرش لقائدة مشروهم  
اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦  
ثمن النسخة ١٠ قروش وللجولة ثمن خاص

والذي يسحرني في الخريف هو الماء عند ما ترفد الشمس في مهبها مرسلتها مبالغة نحو قم الجبال العالية . فصرع العريان نحو أعشاشها تطير جماعات حتى وثلاث ورماع ! حقاً إنه منظر في حزن وجل . . . . وما أجل المنظر وأبهاء اذلاله في الأفق العبد سرب من الطيور البرية الصغيرة . . . بعد ذلك تخفى الشمس وتزأر الرياح وتخرج الحوام والحشرات من مخاضها صائحة مبهلة . كل ذلك كما يسمع في النسيم الخفيف . . . والذي يسحرني في الشتاء هو سقوط الثلج إذا مات نفس الصباح . فتكفى من الأرض حلة بيضاء ناصعة . وعندما يتر البارد ترقص النيران للندفة . حتى إذا ما انتصف النهار وخفت وطأة البرد ترى جمرات النار وقد تحولت إلى رماد أبيض . وذلك هو الحزن بعبه . . . .

وفي القرون الأربعة التي أعقبت عصر ( هاتين ) نجد القصة الشعر الياباني لا يتقلان من مكانهما بعيداً إلا أننا نجد هاتين أن كثيراً من الفلسفة البوذية ، فيتمش الأدب التاريخي ورواية الأدب المسرحي في اليابان . وأبطاله كايوكي Kabouki وروبو No . وفي عام ١٦٤٢ يظهر في سماء الأدب الياباني ، سيكاكو Saikaku وهو أستاذ الأدب الواقعي في اليابان . وقد خلف هذا الأديب مؤلفات وافرة وتلاميذ كثيرين وكانت الآداب اليابانية قبل عهده تعد في جلها آداباً أومستراطية كتبت لمخاض الناس وأهل الثقافة منهم ، فأق سيكاكو وجعل من الأدب الياباني أداة للاضاح عن مشاعر الإنسانية وعواطفها ومومها وأحزانها أي تلك التراحى العامة التي قد يشعر بها رجل الطريق قبل أن يشعر بها ربه الجاه والظلم . وهو في وصفه وتحليله تلك العواطف الإنسانية راعى الدقة التي يلاحظها الناق في وصفه لورعه : أو عالم الحيوان في دراسته لحشرة من الحشرات . وتظهر هذه المقصرة بأجل يان في قصة المسماة « حياة امرأة » ووصف فيها سيكاكو كيف تكون حياة المرأة الخليفة المنخرة التي لا يهملها من عيشها إلا اشباع شهواتها وقضاء ملاذها ، ولكن حياة البعارة والمجون نهايتها دائماً عزينة مكية قمرى في نهاية القصة تلك المرأة التي كانت بالأسس زينة المجالس ووجهة الناظرين تهجر العالم بعد أن عضها البؤس بناب . وتنزوى بين منعطفات الجبال في كوخ خفي من القش والحرق البالية . . . .

ولعل تيكاماتسو Tikamatsu أشهر كاتب حواس في اليابان . فهو يعد بحق شكبير الأدب الياباني . ولكنه اقتصر في مؤلفاته على الإشادة بذكر العواطف الإنسانية العالة وتحليلها كالحب والشرف والاخلاص والعفاف . ويعد البعض من زمرة الثغراء

# في الأدب الغربي

## قصة فيلسوف عاشق

الدكتور طه حسين

هذه إلهة الحكمة نفسها . وأن انتهى به الأمر إلى أن يخلط  
أمة روس بأمة بايس . ويحدث مبعثاً واحداً بعد  
وبفسه . ويصرخ له دماً قوياً خصباً . ويحاول أن يسطر  
سلطاناً على الناس على الإسياسة كلها . أو على الإسياسة  
المسيحية على أقل تقدير

أظنك قد عرفت هذا الفيلسوف . مير ( أغت كونت )  
مؤسس الفلسفة الوضعية . وواضع علم الاجتماع . وصاحب  
السلطان العظيم على العقول الغربية . ثم الأوروبي . ثم  
الأمريكي . عصاراً طويلاً من القرن التاسع عشر . وأظنك  
قد عرفت هذه المرأة التي زاحمت الفلسفة في قلب ( أغت  
كونت ) فكادت تغلبها عليه . أو غلبتها عليه بالفعل ! ثم  
أصبحت إلهة للفيلسوف يبعثها كما بعد التصاريح المسح .  
وكما كان الوثنيون من اليونان يعبدون أثينا أو أرتميس . ثم  
أصبحت إلهة للجماعة من تلاميذ الفيلسوف المنفرقين في  
أطراف الأرض . ثم أقام لها معبد لا يزال يحج إليه إلى الآن  
في بايس . وأقيمت لها معابد متفرقة في أمريكا الجنوبية .  
حيث لا يزال الفيلسوف أتباع بشايعته في القسم المنطوق  
من فلسفته .

هذه المرأة هي ( كلوتلدي دي فور ) وأظنك تعلمين الآن  
وقد سمعت مدين الاسمين ، إلى أن لا أخترع ولا أتبع  
الخيال . ولا أضنع قصة . وإنما أكتب فصلاً من فصول  
التاريخ . وليس من الضروري أن يلجأ الكاتب إلى الخيال  
والاختراع . ليستطيع أن يتمتع قراءه . وأن يؤثر في نفوسهم  
ويثير فيها هذه العواطف الحادة المختلفة التي تمتلئ بها حين تحس  
لذة أو ألماً . وحين تجد حبا أو بغضا . وحين تشعر بحزن  
أو سرور . فقد تكون الحقائق الواقعة أروع وأروع من  
أحسن القصص الخيالية وأبدعها . ولكنني في حاجة إلى أن  
أقدم إليك شخص مدين العاشقين قبل أن أحدثك عن عشقهما .  
وأقص عليك ما كان بينهما من غرام .

لنا أغت كونت مع القرن التاسع عشر . ولم يكد

لا أعلم أن الفلسفة تنظر الحب على أنها . بل الذي أعنيه  
أن الفلسفة حب كلها . وليس اسمها إلا لفظة من ألفاظ الحب .  
ولكن هذا الحب إذا احتل قلباً شطه عن كل شيء . واستأثر  
بكل ما فيه من قوة وعاطفة وهوى . ولم يدع من تلك الحياة  
اليومية العاملة إلا شيئاً يسيراً جداً

فالفلسفة حب الحكمة . وهذه الحكمة شديدة العيرة .  
شديدة الآثرة . لا تحب الشركة ولا ترضاها . ولا تسمح  
لمشاققتها بأن يصفوا بودهم شيئاً أو أحداً غيرها . فمن فعل  
ذلك أو شيئاً منه . طيس هو من الحكمة في شيء . وإنما هو  
رجل مثلك ومثل يعنى الأذية . ويضطرب في الشوارع .  
ويعيش مع الناس . وليس له حظ من المدنية الفاضلة التي يكنها  
ويسيطر عليها عشاق الحكمة وحدهم

لذلك كان أمر هذا الفيلسوف الذي أحدثك عنه عجاً من  
العجب . وفما من هذه العنود النادرة التي لا يظفر بها المؤرخون  
والقصاص إلا في مشقة وعسر . وإلا على أن تفرق بينها  
القرن الطويلة والصور البديعة . والذي أعرفه أن التاريخ  
لم يظفر قبل فيلسوف هذا العظم بعاشق قد دلفته الحكمة .  
وعت بلبه جمال إلهتها العليا . ولكنه على ذلك استطاع أن  
يشعب بالادة أخرى يشاركها مع هذه الإلهة التي كان  
يصورها اليوناني في صورة أثينا . تلك التي خرجت من رأس  
أيها زوس . نامة الحق . مكتملة الشاب . فيها جمال فنان .  
ولكن فتنه تطلب هويتها لا برقتها .

لم يعرف التاريخ عاشقاً من عشاق أثينا استطاع كما  
استطاع فيلسوف العظم . أن يشارك معها امرأة من النساء في حبه  
وهيامه . وأن يختصها من هذا الحب والهيام بمثل ما اختص

بواسطة العهد الثالث من غورد حتى ظهر موقفه في العلوم الرياضية، ولم تكند تقدمه به السن قليلاً حتى عرف له هذا التفوق. وإذا هو حجة في هذه العلوم، وإذا هو لا يقف عندها ولا يقتصر عليها، وإنما يهكر في الصلة بينها وبين بقية أنواع المعرفة الإنسانية من جهة، ويهكر من جهة أخرى في الحياة الأولى به المضطرة بعد الثورة والامبراطورية. فيحاول أن يضع ترتيباً جديداً للعلوم، ويوفق إلى ما يريد. ويحاول أن يحدد نظاماً جديداً تقوم عليه الحياة الأوروبية، يوفق أيضاً. ويصبح لمدرس النوعين من التوفيق صاحب الفلسفة الوضعية ومؤسس علم الاجتماع.

ولكن فلسفته الوضعية هذه، كانت حديثة ثائرة لا تستأثر بالقلوب استئثاراً مطلقاً، ولا تقطع على أهلها حيل الحياة، فسحبت لعاشقها (أغت كونت) أن يعيش كما يعيش الناس، وأن يحب كما يحبون، فعاش وأحب. ولكن أي عيشة وأي حب؟ تركت الفلسفة قلبه حراً، وشغلت عقله كله. فاختار في الحب محبة عقله، ولم يختر بعقله، فبأنس ما اختار اختار امرأة جسمته الأوهان. ولكنه كيف تحمل الآلام، وكيف يتجرع الإنسان مرارة الغيظ: كانت ملوكاً فاجرة وخيل إلى (أغت كونت) أنها غيرة طامرة، فأحبها وأظهرت له الحب، وخطبها قبلت الخطبة، وتزوجها قبلت الزواج، وما هو إلا وقت قصير حتى تبين من أمرها ما كره. فخاصمها وقاومت، وأملوها فازدردته، وحاول أن يماقها فثارت به، وصبر الرجل وصابر حتى جن. وإذا هو يلقي نفسه في النار، وإذا الشرطة تستغفه وتدفعه إلى المستشفى، فيقيم مع المجانين حيناً ثم يفيق فيستأنف الفلسفة، ويستأنف التعليم، ويستأنف الحب والعذاب. ويجن مرة أخرى، ويفيق وتقطع الصلة بينه وبين امرأته في غير طلاق، لأن القوانين الفرنسية لم تكن تبيح الطلاق يومئذ. فتشاطه إذاً موقفه على الفلسفة والتعليم. في سنة ١٨٤٠ كان فيلسوفاً محتجاً في مدرسة الهندسة Polytechnique. وكان بين الشبان الذين تقدموا إليه في هذا الامتحان غلام في الخامسة عشرة من عمره، هو (مكسيميليان ماري). رآه الأستاذ الفيلسوف وسأله، فأجبه وأعجب به، ورأى أن الخير في ألا يقبله هذا العام، فأجله سنة ثم قبله بعد ذلك، واتصلت بين الأستاذ وتلميذه محبة لم تلت أن بلغت أقصاها، وإذا الفتى يميل إلى أستاذه وفلسفته

وإلى الحرية خاصة. وإذا هو يسبيل من المدرسة ويسبغ الأستاذ ويتشدد له ويعيش من التعليم في المدارس الحرة على كره من أمه. وفي سنة ١٨٤٤ يتزوج هذا الفتى ويعيش مع امرأته في بيت الأسرة، حيث يزوره الأستاذ من حين إلى حين. وهناك يلقى أخته (كلوتيلد) فلا يكاد يسميها ويتحدث إليها، حتى تفتدى به ويبسببها تحملاً تعرام.

وكانت كلوتيلد هذه في الرابعة والعشرين من عمرها ولكن حياتها كانت ممتدة بالخضوب، كان أبوها رجلاً من الطبقة الوسطى، عمل في جيش الامبراطورية وارتقى في آخر عهد الامبراطور إلى رتبة الكاشين، ثم سقطت الامبراطورية فأحيل إلى الاستبداع، وعاش من مرتته العسكرية الضئيل. وكانت أم الفتاة من أسرة شريفة من أهل المورين. فنشأت (كلوتيلد) نشأة فيها بؤس وضيق، ولكن بها احتفاظاً شديداً بتقاليد الطبقة الوسطى. ولم تكند تتجاوز الخامسة عشرة حتى روجت من رجل يحمل اسماً من أسماء الأشراف. ولكن حظه من الشرف كان قليلاً، وهو (ميروسي فور). اقترن بالفتاة وعين جانياً للضرائب، وتغنى مع امرأته أعواماً لا هو بالحيد ولا هو بالذئب يمتنع امرأته قطاً من السعادة. ثم أصبح الناس ذات يوم، وإذا هو قد ذهب إلى سمر مجهول، وماهى إلا أن يبحث عنه ويقتنض عن أمره، حتى يظهر أنه قد بندد أموال الدولة، وشيئاً كثيراً من أموال الناس في اللعب، ثم هرب من فرنسا، إلى حيث لم يعرف من أمره شيء.

فظلت هذه المرأة الشابة معلقة، لاهي بالمتزوجة، ولا هي بالمطلقة، محزونة، يائسة، لأمل لها في الحياة. عادت إلى أسرتها تعيش فيها، وعكفت على نفسها تعيد وتبدي مايجول فيها من خواطر الألم والحزن، ثم أخذت تكتب ما تحس وتفيد ما تجد، وإذا هي كاتبة لاحظت من أدب ونصيب من خيال. وكان جمالها معتدلاً لا إسراف فيه. وكانت المحنة قد أقادت أرمضانها ورزاقها، وأفاضت على شخصها شيئاً من الحب يعطف النفوس عليها، وأجرت في حديثها شيئاً من المندرية الحلوة المألوفة، يجيبها إلى القلوب.

فلما لقيا الفيلسوف في بعض زيارته لأخيه، نظر إليها فلم تكند تطلع نفسه، ونظرت هي إليه فأنكرته وأكبرته. أنكرت شكله الدميم، وصورته القبيحة، وخلقه المضطرب المرثك، وأنكرت صوته القليل، وحديثه المتكافئ، ولكنها

أعجبت بذكائه ، وأكثرت عقله وطعته . وسكنت عنده  
وسكنت عندها . وأتصلت الزيارات ، واتصل اللقاء . وأخذت  
نظرات الفيلسوف تستفر على الفتاة . وأخذت أدر الفتاة  
تطمئن إلى حديث الفيلسوف ، ولكن أحداً منها لم يشعر  
بأن صاحبه قد رفع من نفسه موقفاً خاصاً .

كان الفيلسوف يزور الأسرة ثلاث مرات في الأسبوع .  
وكان يجد لذة ودعة في هذه الزيارة . كان يلقي ثلاثاً من النساء .  
أم تليده وكانت مشغولة بالتصوير . تحاول دائماً أن تصور  
الفيلسوف ، وروج تليده وكانت موسيقية تطربه بالتوقيع  
على البيانو ، وكلويد أخت تليده وكانت أديبة تحبته عن  
الآداب وعن قصصها التي أنشأتها وسحبها لرس . ودرست فيها  
لحياتها الخاصة ، وربما أشدته شيئاً من شعرها . ولم يكن  
الفيلسوف يحب الآداب ولا يحفل بالشعر ، ولكنه كان يجد  
لذة في آداب كلويد ، ويذوق الجمال في شعرها وإن لم يكن  
هذا الشعر جميلاً ، وإن لم يكن مستقيم الوزن أحياناً . وكان  
الفيلسوف يتحدث إلى كلويد عن فلسفته الوضعية ، وعن  
مبادئه التي ظهرت تدبج هذه الفلسفة في الناس ، وعن  
أنصاره وخصومه . وعن دروسه في الفلك . وكانت الفتاة  
تعجب بهذا كله ، وإن لم تكن بطبيعتها شغوفة بالفلسفة . وكان  
الفيلسوف يلتزم إرضاءها والتعرب إليها على غير شعور منه ،  
فيذكر لها براعة النساء في الآداب والفلسفة . وكان هذا الحديث  
يروقها ويمتلئ كبرياءها ، وكانت الفتاة تكبر في نفسها حين  
تري الفيلسوف قد رآها لثقة أهلاً . وذات يوم سقطت على  
الفيلسوف من السماء سعادة لم يكن يقدرها ولا يتظرها  
ولا يحسب لها حساباً . واره تليده ومعه أخته ، وكان  
الفيلسوف في جماعة من العلماء ، وكان الحديث عالياً عميقاً .  
فأبتهج الفيلسوف وأعجبت الفتاة ، وجلت تسمع في إكثار  
وتأؤب خفيف لحديث العلماء ، ثم صمت تريد أن تنصرف  
لجمع الفيلسوف شجاعته كلها في يديه واستأذن الفتاة في أن  
يزورها في بيتها الخاص . فأذنت . هنالك بدأت الخصومة بين  
الهة الفلسفة والهة الجمال . هنالك اضطرب . اغت كورت ،  
بين العقل والقلب ، وبين التفكير والحب . هنالك أخذ  
الفيلسوف يسأل نفسه : ما قيمة هذا العلم الخالص الخاف ؟

وما قيمة هذا التفكير العميق العقيم ؟ ومتى كان الرجل رجلاً  
سقطه دون قلبه ؟ ومتى كان الإنسان إنساناً بالتفكير دون  
الحب ؟ إن الإنسان لا يستطيع أن يصكر في كل وقت .  
ولكنه يستطيع أن يحب دائماً . وإذا قد تكون الهة الفلسفة  
مسرته في الطغيان . وقد يكون من المكر أن يتحد . اغت  
كورت . رأسه محمداً لأنينا وقله محمداً لكلويد .

وابتدأت زيارة الفيلسوف للفتاة في بيتها . وإذا الحب  
يلس . وإذا الفيلسوف يلج في حبه ويسلك إلى إقناع الفتاة  
بهذا الحب طرئاً . مها المتري . وسها المستقيم . ولكن كلويد  
لا تحب ولا تهوى . إنما تدبج وتكر . فهي ترددها في  
رفق . وتطلب إليه مودته دون حه . فلا يكاد يعرف بها  
هذا حتى يضيق نفسه ومالحيته . وحتى تضيق به حصته .  
ويحجز جسمه ورأسه عن احتمال هذا الحدلان ، فهو مريض  
يلجأ إلى السرير أياً ما . وهو مشفق أن يعاوده حنونه القديم .  
على أنه يبل من مرضه . ويحاول أن يجدد عهده بالفتاة .  
ولكنها تحظر عليه زيارتها في بيتها . وتمده باللقاء عند أمها  
مرتين في الأسبوع . فلا يكفيه ذلك . فتعده بلقائه مرة ثالثة .  
فلا يكفيه ذلك أيضاً . وتصل بينهما كتب فيها حوار حلو  
ملؤه الحنان حين يصدر عن الفتاة . عفيف معوج ملؤه  
الفلسفة حين يصدر عن الأستاذ . ثم يتحيل هذا الحب في  
نفس الفيلسوف إلى شكل جديد . فليس هو حياً عادياً  
كهذا الذي يكون بين الناس . وإنما هو التقاء شخصين عظيمين  
قد خلقا ليتقيا ثم ليتناوئا على إصلاح الإنسانية وإلهامها .  
هي اذن قد خلقت له ولن يدعها ولن يتخذ غيرها زوجاً .  
إذا ماتت زوجته الثانية . ثم تتحيل هذه المواقف ويتحيل  
هذا التفكير إلى فن من الفلسفة . يضعه . اغت كورت .  
في رسالة . ويهدي الرسالة إلى الفتاة بهذا العنوان : رسالة  
طفيفة في التذكار الاجتماعي . في هذه الرسالة يتعبير رأي  
. اغت كورت . في المرأة ومكانتها الاجتماعية تميراً تلمناً .  
فقد كان منذ أشهر يكتب إلى تليده . ستوارت ميل . فيرى  
أن ليس في المرأة أمل ولا خير . أما الآن فهو يرى المرأة  
عنصراً أساسياً في الإصلاح الاجتماعي الذي وقف نفسه  
عليه . وقد سرت الفتاة بهذه الهدية . وكبرت في نفسها



# الوادی

للشاعر الفرنسي لامرتين

ان قلبى المكسوم . المتقطع جبل رجائه حتى من الامل بل  
يرجع الاقدار بعد الآن ماتت لانه كما كان برعها من قبل  
ولكن ايها الوادى . بامأوى و ايام طفولتى . افصح لى بجالا  
— ولو ليوم واحد — فأعيش فى روعك و انتظار المنون .

\*\*\*

ها هو ذى الطريق للضيقة المزدية الى ذلك الوادى المظلم .  
هنا . فى أحضان هذه الروابي . تقوم أشجار تلك الثابات  
الكثيفة . تفرسل ظلها على وجهى الشاحب . وتحرطنى بكون مكر

\*\*\*

وهناك جنود لا يجرى بان تحت « جورد (٧) » من الأعشاب  
المنخفضة . فبرسان فى انسيابهما تعاريج الوادى ومنحدراته .  
وتربهما بين الغينة والقيقة . يمزجان توجعتهما النفسية بالحنن خيرهما  
العذبة . ثم يتلاشان قريبا من المنح . بعيداً عن أعين الناس .

\*\*\*

وأياى فى انسيابها أشه بهذين الجنودين ! ففى تفضى وتلاشى  
دون أن يشعر بها الناس . ودون أن تحدث ذلك الحرير العذب !  
أما تفسى الكثيفة المتعانة فهبات أن تفسى بحياة يوم جميل من  
أيام حياتى .

•

ان خائل الوادى القيانة . بظلمها الخيم . دفعتى لفضاء النهار (١٢)  
كله على صفاف جنودها . فتفسى الحسنة تنفرد على أنغام تحرير  
المياه . كما يتغو الطفل فى مهده على صوت المغارة .

\*\*\*

هناك تحوطنى الطبيعة فأسوار من الشب الاخضر . وبأذن  
محدود . لكنه فيج لناغرى

- (١) نظم لامرتين هذه القنطة الشعرية المنشورة فى أواخر عام ١٨١٩ . بعد أن  
قام فى الوادى الذى بينه Pérouillet حنة كاتبة .
- (٢) أصل هذه الكلمة Ponts وقد احتفظا بنماها صريح .
- (٣) هنا يذكر الشاعر برما مشغوما كل يوت فيه غرقا فى بحيرة صغيرة لولا  
شاط أحد أضيائه ليجر من نهر

فزارت الفيلسوف مع أمها شاكرة له .

هناك نسط الامل وتجددت الحياة . واعتقد الفيلسوف  
أنه سعيد . واستأنف الحاحه على الفتاة . واستأنفت الفتاة  
مدافعتها عن نفسها . واحتالت فى ذلك حتى زعمت له أنها قد  
أحبت من قبله قى كأن لحبها أهلا . وأحبها القى وسعد هذا  
الحب ! ولكن لم يجدا الى الزواج سبيلا . لأن القى كان معلقاً  
مثلاً يخاصم امرأته ولا يستطيع لها فراقا . فبست من الحب  
والسعادة . وأزعمت أن تنصرف عن لذات الحياة أبدا . ولكن  
الفيلسوف مغرم . والغرام لا يعرف اليأس . وهو اذا كان

محبباً قويا قد يتحول ويتشكل . ولكنه لا يزول . ومما الفنى  
يمنع غرام كونه أن يتخذ شكلا فلسفيا ولو الى حين . لقد  
كان عود نفسه الحرمان منذ دهر طويل . فألقى القهوة منذ  
عشرين سنة . وترك التدخين منذ عشر سنين . ثم ألقى النيد  
ثم ألقى الفاكية . ثم اتخذ ميزانا يزن به ما يلائم حاجة جسمه  
من الطعام الحسن . وكان ربما يكتفى بالكسرة من الخبز يتلغ  
بها . وهو يفكر فى اخوانه من الناس الذين قد لا يظفرون  
بمثلا . ومادام قد سيطر على نفسه الى هذا الحد . وعودها  
هذا الحرمان فى الطعام والشراب . فباله لا يزيد هذه السيطرة

وماله لا يعود نفسه الحرمان لا فى الحب بل فى لذات الحب .  
إذا تليق حبه قويا حارا ! ولكن ليطا هذا الحب نغيا طاهرا  
جديا من كل لذة . وليتظر . وليجتنب اليأس . فكل شئ يدنى  
الفتاة منه . وكل شئ يدنيه من الفتاة . لقد أصبحت زميلة له منذ  
نشرت بعض الصحف السيارة لها قصتها التى وضعتها عن نفسها  
فأصبحت كاتبة مثله تتحدث الى الناس فى الأدب كما يتحدث  
هو الى الناس فى الفلسفة . هما إذا زميلان . بل هما أكثر من  
زميلين ! فقد أخذت الفتاة تدنو من مذهب فى الفلسفة . وتحس  
ميلا الى آرائه الاجتماعية . وتكون منه مكان التليذ والنصير .  
فليحب إذا وليصبر . وفى أثناء ذلك كانت أم الفتاة تقول لها :

لولا أن مسيو كونه فيج دمى لقلت انه يتعلقك ويدور  
حولك كما يدور العاشقون حول من يحبون . ومع ذلك فإن  
من الحق عليه لك ولنفسه أن يفكر فى أن هذه الزيارات  
المتصلة المنظمة . لا تليق بك ولا به لأنها تخالف العرف  
المألوف أشد الخلاف .

• بلى •

أطرح هذه القصيدة فى صدرت ن أول فبراير سنة ١٩٣٧

أني أحب أن أثبت فدي ، وأن أشهد من الناس لاسمع حروير  
المياه ، ولا تتم برؤية السماء .

\*\*\*

لقد رأيت في حياتي أموراً كثيرة ، وشعرت بأحاسيس جم  
وملأت أباي عتقا ، والآن جئت أسترحي الطبيعة في هدوئها الشامل  
أيها الأماكن البهجة الجميلة ، كوني لي تلك الضفاف التي يسي  
الإنسان بفريها كل شيء . فقد أصبح سر سمائي في السبان .

هنا طمأن قلى ، هنا ترتاح نفسى : هنا تلطف صوته العالم  
العد أنعامها الأخيرة كما يلطف الصوت للعبد أنقامه حين تعدده  
الشقة قبل أن يصل مع النسيم إلى الأذن الحائرة .

\*\*\*

من هنا ، ومن خلال هذه الغيوم الصافية ، أرى ماضى حياتي  
يتمنى في ظلام دامس تاركاً في نفسي ذكريات حية لمحي . كما ترك  
البقطة في نفس المستيقظ صور خيالات جملة حلم لذيذ قد استفاق منه .

\*\*\*

يا نفسى ! احذى خطك من الراحة في هذا المنزل الأخير كما  
ياخذ المسافر الطافح قلبه بالآمال ، حظه من الراحة ، قبل أن يدخل  
أبواب المدينة . يستشق منه نسيم الماء المعطر .

ولننفض دمعانا كما يفعل هذا المسافر ، لأننا لن نمر ثانية في  
هذه الطريق التي اجتازناها علوة بالنهار . ولننقوش مثله أيضاً في  
آخر مرحلة من طريقنا ، هذه المرحلة الذي يشرنا بضعفنا الأدبية .

\*\*\*

أيها الإنسان ! إن أباك المصدودة ، التي تشبه في حليتها  
وقصرها أيام الحروف ، تعذبك كما يعذب الطفل على جوانب  
المضارب . فالصدقة . تخونك ، والرحمة تعرض عنك ، إلى أن  
تتركك في طريق الفخر وحيدا .

\*\*\*

ولكن الطعمة هنا تدعوك إليها لتلك أشواتها ، فارتد في  
أحضانها .

عد ما يقلب لك كل شيء ظهر الجفن ، عند ما يخونك كل شيء ،  
ويعرض عنك . ترى الطبيعة على حالها المهددة . فالشمس نفسها  
تشرق طيلة أيام حياتك .

\*\*\*

إن الطبيعة لم تزل كما كانت على بالامس ، رشداً تارة بهور  
حققتها . وتضللاً أخرى . فلا تأسف أيها الإنسان لكل ما قصمه  
من مناع الحياة الدنيا ، وتعال تعبد ذلك الصدى وألحان تلك  
الموسيقى الملوية كما كان يتعدهما في غناغورس (١) ، من فلك

\*\*\*

دع الطرف جناح الدلالة في سباتها بهارا ، والاضاح في  
عمرائها ليلا : واسبح مع العيرم على ساطع الريح ، واخترق غابات  
الوادي الظليلة مع أشعة ذلك الكوكب الحمي

\*\*\*

إن الله خصك أيها الإنسان بالعقل والنقطة لكي تتحش بها  
وجوده . فستجده في صحيفة الطبيعة ، فإن في سكرتها وهدوئها  
صوتا يهتف باسمه .

من نال يسمع هنا الصوت يدوي في أعماق قلبه ؟

محدث  
محدث

(١) مر عالم ويلفريد براون . طائر في غمر الداس قبل الحج . نطق  
قلبية ، وهو مدني لا يكتم من مجرة الطبيعة . كمرعة الصوت في الوادي .  
وأجاب صوت الصوت الخ .

## غيرة

قد زرعنا بين أفراف الربا ورده الحب لاقبال الريع  
داعيتها عند إقبال الصا نسمة الأصال والصبح الوديع

\*\*\*

خلع الروض شفاك بعدها وحيها اللون ووجات الحبيب  
هي ككثار ، ولكن عندها تشتهي الأنواء ثقيل الذهب

\*\*\*

كان قلبي مسرح الود الندي وسفته العين أمواه الحياة  
وعزير أن أرى غرس يدي نعتويه بين عيني الشفاء

\*\*\*

وردة الحب استباحث أدنى وتولت عند إقبال الخريف  
عذبت قلبي وأيكته مني وأرتقي كيف إذلال الضعيف

، محمود محمد متصر ،



## أسرع ككرة في العالم

صورة تؤخذ في جزء من ٤٠٠٠ من الثانية

إذا أردت أن تصور جسمًا ثابتًا، كتمثال من الحجر، كفالك في ذلك أن تثبت أمامه ككرة غافة في المساطة، تتكون من خزانة مظلة، بسطحها القريب من التمثال عدسة تركز الأشعة المبعثة منه على فلم حساس في السطح المقابل من الخزانة. فترسم عليه الصورة المرغوبة. ثم يخرج الفلم في الظلام ويثبت بالطرق المعروفة. ومن أهم الأمور التي يراعىها المصور مدة التغطية Exposure أي مدة تعريض الفلم للضوء. وهي تتوقف على أمرين: أولهما درجة حساس الفلم. وثانيهما شدة الضوء الذي يمر التمثال. وفي المثل الذي نحن ضدهه يكفي أن ينفذ المصور عدسة هذه الككرة البسيطة بوزقة متوازنة سوداء. فإذا حان وقت التصوير جلي عن الفلم مدة ثانية أو ثانيتين أو ثلاثاً وأربع حسب ضوء الشمس الحاضر، وذلك بأواجة النظام. ثم رده سريعاً إلى مكانه

هـ بعد ذلك أنك تريد تصوير رجل من لحم ودم، وهب أنك وقتئذ مكان التمثال وجلبت عن الفلم ثلاث ثوان أو أربع. فهل نرى ما الصورة التي تخرج لك؟ صورة مبهمة على الأغلب لأن الإنسان ليس له سكون الحجر، فهو لا يستطيع صبراً على الوضع الواحد، فتتحرك فيتخذ أوضاعاً كلها ترسم على الفلم فتخرج الصورة مبهمة الخفود متضاعمة الخطوط مختلط بأضواء سوداء. فتجد نفسك عندئذ في حاجة إلى تقصير مدة التغطية حتى لا يتحرك الرجل، ومعنى هذا أنك بحاجة إلى زيادة حساسية الفلم. ومعنى هذا أيضاً أنك بحاجة إلى زيادة شدة الضوء. فبدل أن تصور في نور الصباح الأول أو في نور الماء الأخضر، تصور في الصباح ضاح مشرق، وعندئذ تكفيك بعض الثانية عن الترانى الكثيرة

هـ بعد هذا أنك تريد أن تصور رجلاً وهو يسير، أو سيراناً كقطعة أو كلب لا يستطيع انت أن تريده على السكون، أو هب أنك تريد أن تصور حصاناً وهو يجري، أو طائراً إذ يطير، أو قطاراً ينهب الأرض. فقد لا تنفعك نجمة الفلم ثانية أو عشر الثانية، فالقطار

الذي يسير بسرعة ٩٠ كلوراً في الساعة يقطع في الثانية الواحدة نحواً من ١٧ متراً. فافكرم صورة تقطع عندئذ على الفلم في الثانية الواحدة، وتخيّل مقدار تعيش الصورة الحاصلة.

فكان لابد من تقصير مدة التغطية تقصيراً كبيراً لأن تكون مدة التغطية جزءاً من مائة من الثانية أو من مائتين، ولما كانت اليد الإنسانية لا تستطيع كشف العدسة ونقطتها بهذه السرعة كان لابد من ابتداع خطاء تحرك قوة آلية كقوة الزنبركات مثلاً، وتدخلت الكيمياء لتزيد في حساس الأفلام لكي تتأثر بالضوء في المدة القصيرة الجديدة. وتقدم الإنسان في اختراع الكمرات السريعة حتى أصبح تصوير التحركات أمراً سهلاً لا يكلف تعباً ولا اجتهاداً. وأصبح ما لولا حتى لا يثير استعجاباً ولا إعجاباً. وصرفنا تحليلها حركات الحيوان لتعرف منها تمثيل سيرة، وتحلل حركات الطائر لتدرك منها كنه طيره، وصرفنا جمع من الوحدات التي تحملت إليها الحركة، والعناصر التي قسمت إليها أفعالاً لحيوان والإنسان، فترضا على الشاشة أيضاً متابعة متواصلة، فحكى من حوادث الوجود ما نشاء أين نشاء متى نشاء. ولكن من حوادث الوجود ما يحدث في مدة قصيرة تنافس

العين في لحظة واحدة، والحاضر في لحظة، فلا بد من تقصير مدة التغطية إلى ما يسبق لحظة العين ويقاصر لحظة الحاضر، وإذن فلا بد من الزيادة في حساسية الأفلام. ولا بد من زيادة الضوء حتى يزيد على ضوء الشمس. فبحر الباحث بعد الباحث، وعاون المفكر المفكر، وقضاقر الطبيعي والكيميائي، والرجل النظري والرجل التطبيقي؛ حتى جاءت الأنباء حديثاً بأسرع ككرة عرفها الزمن، ككرة إذا حدثت الأخبار العاجلة تصور الصورة في جزء من أربعين ألفاً من الثانية، اخترعها أستاذان من أساتذة معهد الصناعات بمانشوميت بالولايات المتحدة. وهي تعتمد بالطبع على فلم شديد الحس. ولكن أكر اعتيادها على دورة كهربائية نستطيع أن نتحدث بركة صوتية أقطع من شمس الظهيرة مرات وهي تبدل في شدة ضوئها ٤٠٠٠ مصباح كهربائي مركزة كلها في صعد واحد، أو قالوا واحد منها يحسون وطناً.

وقد استطاعوا أن يصوروا بها أموراً عدة لا نستطيع أن تصورهما الكمرات السريعة المعروفة. فذكر من ذلك صورة للنساء النازل

# الانفلونزا أو النزلة الوافدة

للدكتور مسامى كمال

النزلة الوافدة مرض مستوطن في القطر المصري، فلا يمر شتاء دون أن نسمع معص إصاباته؛ لكن هذه الاصابات لا تأخذ شكلاً وبنياً، وتظهر عادة في فصل الشتاء مقرونة بسابق التعرض لبرد شديد أو للرطوبة، وغائبة دائماً حيدة.

- تظهر هذه النزلة الوافدة في جميع أنحاء العالم، كما تظهر عندنا، ويكثر عدد المصابين بها في البلاد الباردة، وتقل إصاباتها عادة عند حلول فصل الربيع.

وهي تنقل بالعدوى بواسطة جراثيم خاصة؛ تلك الجراثيم عبارة عن مذور تتفاوت في حيويتها وتأثير أفرزاتها، لأن الجراثيم لا تؤثر إلا بفعل هذه الافرازات التي هي من أقوى السموم وأشدها فتكاً للإنسان.

- فإذا صادفت أجساماً قوية قاومتها، أما إذا عرضت لها أجسام ضعيفة فانها تقوى عليها، وتشتد مآثرها على غيرها، وتزداد قوة اذا نيات لها ظروف خاصة. كما حصل ذلك في نهاية الحرب العظمى عام ١٩١٨ اذ وجدت الانسان ضعيفاً جاثماً منهوك القوى والأعصاب فتكت به. ومات بالنزلة الوافدة في العالم عدد يفوق عدد من مات في ميادين القتال. هنا تكون وبالا، وهنا تكون حطراً على العالم أجمع، حيث تنقل مع المسافرين بسرعة الطائرات والسيارات.
- وهذا النوع من النزلة الوافدة الوبائية يسمى عادة باسم

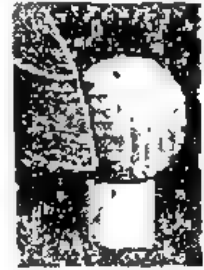
- وتكشف لي في طيات الدنيا التي أعرفها وفي حراشها وفي أناسها مجهلها ولأن ان قلبي لم يكن للنزلة الكرون موضع من قاموس لغتي ولا أصبحت أحس في مدوه هذا الليل وأما أكتب هذه الكلمة على مكتبي هذا الساكن وفي حجرتي هذه المهادنة كأي أكتب في عرفة وجراجة من عربات الترام اذ تمر نهاراً في أشد أحياء المدينة صخباً وجلبه. وأخيراً لأن ان قلبي وقيلت ريادة الاحساس بالزمن أصبحت ثابتي ساعة وأصبحت ساعتى سنة وسنواتي ألوفا.

من العنبر، فهذا يخرج تحت ضغط وتسير قطراته في السيل المتدفق بسرعة كبيرة. وإلى هنا فهي تتحرك في كل جهة بحركات تختلف سرعاتها باختلاف تدافع القطرات واتجاهها، وتراها في الصورة المرفقة كأنها قال لها انه اجدى مكانك فجذبت، وتراها على غير ما تراها العين من الاجسام والملاسة



الماء والعنبر

ومن ذلك صورة للضرب إذ يضرب به اللاعب الكرة في اللعبة المعروفة بالجلف، فانك ترى الكرة المصنوعة من المادة الصلبة القوية قد انبطحت من قوة الضربة لولان انبطاحها لا يستغرق إلا جزءاً من الثانية في غاية السرعة كان من المتعذر على العين أن



الحرب والكرة

تراه؛ وكان من المتعذر على الكرات العائية أن تسجله. وبقي أمراً مفروضاً حتى أنت للكرة السريعة فجعلك رأي العين. والعين جبهة الحجب، إذا رأت قطعت قول كل خطيب على أنه لا يعرف أن ننه إلى أن كل صورة لشيء تتحرك، مهما كان نوعها، وبأى كمرّة صوّرت، ما هي الا مجموعة من صور لا حصر لعددتها. هب أنك أخرجت يدك من جيبيك فوضعتها تحت ذقنك؛ وهب أن هذا حدث في ثانية واحدة، فانك لتجد يدك اتخذت عدداً من الأوضاع لا حصر له. فإدامت يدك في حركة مستمرة هي كل من أجزاء الثابة. مهما صغر، وضع خاص به يختلف عن وضع الجزء الذي يليه من الثانية. ومن الطبيعي أننا كلما زدنا ثانية تجزئاً زادت هذه الأوضاع عدداً. ولكن كذلك كلما زدنا في التجزئة قل الخلاف بين أشكال هذه الأوضاع العديدة حتى تصبح العين الانسانية عن ادراكه. فصور الكرة السريعة المرفقة هي في الواقع عدة من صور صغر حس الانسان عن ادراك الفروق بينها. فحس الانسان للفاصل المكان محدود، كما أن حسه للفاصل الزمان محدود.

ولعل هذا التلم في الاحساس نعمة من نعم الله. ولو أن هذه الحدة في الاحساس بالزمان والمكان أعطيت لي حدة لتزدود كثيراً في قبولها، لأنى ان قلبي لم أجد في الكون شيئاً ناعماً، حتى أكثر المزايا اصطفاً تصح في عيني كسطح الصخرة المثلم. ولأنى ان قلبي تراءت لي الدنيا تنموج بمخلوقات أنا الآن عنها أعمى.

## بحوث مصائد الأسماك وماهيتها

للدكتور حسين فوزى

مدير إدارة أبحاث المصائد

ليس المخلوق الحى مع ما هو عليه من مظهر الوحدانية سوى مجموعة مركبة من مواد عضوية وغير عضوية ، ترتبط بعضها قوى طبيعية من نفس القوى الصادرة عن الكون المحيط بها . لذا يتقدم الباحث لدراسة هذه المجموعة كوحدة حية أولاً ، ثم كجزء من ذلك الكل أو الوسط الذى يعيش فيه ثانياً . وقد أطلقت كلمة يولوجيا علم الحياة على مجموع هذه الدراسات . دراسة أشكال المخلوق الحى وأوضاعه فى الفضاء . وهى « المورفولوجيا » ودراسة أوصاف أجهزة وأعضائه وهى « علم التشريح » والبحث عن تطور هذا المخلوق من البويضة حتى يصبح كامل الخلق وهو (الايكولوجيا) « علم الأجنة » ودراسة وظائف أجهزته وأعضائه وهى (الفيزيولوجيا) . ودراسة الحياة وقوانينها وتطوراتها الكونية . والوسط الذى تعيش فيه المخلوقات باحثاً عن غذائها . والغازات الضرورية لتنفسها ، وكذا أثر هذا الوسط فيها . وتوزيعها حسب ظروفها . تلك هى (الايكولوجيا) . والأحياء المائية تتميز من غيرها بأن الوسط الذى تعيش فيه هو الماء . وهذا النوع من الحياة هو أهم الفروق بيننا وبين الأحياء الأخرى . لأنها فيها عدداً ذلك تنفس وتنغذى وتتغسل وتؤدي أعضاؤها نفس الوظائف التى تؤديها الأحياء الهوائية . وإنما تطور هذه الوظائف ويتطور شكل المخلوقات المائية تبعاً للوسط الذى فرض عليها مظاهرها الخاصة .

والأسماك فصيلة من المخلوقات المائية استرعت اهتمام الإنسان منذ أقدم العصور لأنها مصدر هام لغذائه . فالإنسان منذ النشأة الأولى كان صياداً قسماً . على أنه تمت أحياء مائية أخرى انتفع بها الإنسان أما لغذائه أرى لأغراض قسمة أخرى . نكفى منها بالإشارة إلى المديبات (كالجندوقى وأرم الخلول) . وفروات القشور (كالجبرى واللاجوس) لغذائه . وإلى الأسفنج وحيوانات القزق والمريجان والسلاحف المائية والباسح (الباقعة والجلود) لزيته ونظافته . وإلى الدراقيل والحيتان لصنع الجلود واستخلاص الزيت . وإلى بعض الأسماك لاستخلاص سمها « الجوار » وللقراء الجوارف والمنحدرات الطبيعية كزيت كبد البكلاء (زيت كبد الجوت) وإلى الأعشاب البحرية التى يخرج منها اليود وبتنفع بها فى الأسمدة .

الوطن الذى نشأ فيه ، فى عام ١٩١٨ كانت أساية . وهى فى هذا العام الإنجليزية .

وكل الأخبار تدل على أن خطر هذه الواقعة الإنجليزية أقل بكثير من سابقتها الإسبانية . وأوبئة الوباءة تشابه فى مجموعها من حيث الأعراض . لكنها تفاوتت من حيث مضاعفاتها وخطورها على العموم .

ومدة حضانتها ، أى من وقت العدوى إلى وقت ظهور أعراضها لا تزيد على اليومين .

أما أعراضها فزكام واحتقان فى أغشية الحلق والمجارى الهوائية مع قشعريرة وحى وشعور يتكرر فى الجسم وعطش وسعال ، وهى سريعة العدوى خصوصاً لأن أكثر الناس لا يتكفون فى دورهم عند الإصابة بها ، بل يستمرون فى مزاوله أعمالهم . يذهبون ويمشيون ويختلطون بالناس .

وهم لو عرفوا كيف تحصل العدوى وعزلوا أنفسهم فى بيوتهم وحجراتهم لندروا عن أنفسهم وعن عائلاتهم وعن مواطنهم شر هذا المرض .

إن العدوى تحصل بواسطة العطس أو السعال اللذين يقللان جراثيم المرض مباشرة إلى السليم .

لذا يتحتم على المريض أن يتحاشى العطس أو السعال فى وجه الناس وليفعل ذلك يميناً أو شمالاً .

كذلك من يخالف المرضى يجب عليه أن يحتاط بوقوفه جانباً غير هيأ ولا وجل ، يتقدم فى رفق ثم ينزل يديه ، ويستعمل مطهرات الفم والأنف . ويجب أن تكون غرفة المريض معرضة لأشعة الشمس يتجدد الهواء فيها مراراً كل يوم ثم يلازمها المريض عند أول الشعور بالمرض ، ويستعمل الأطعمة السائلة والمفرقات والمشروبات الساخن وهو خير علاج بجانب الأسيرين والكينين عند الاحتياج حسب أمر الطبيب مع استعمال مطهرات الأنف والحنك .

ومن خير الاحتياطات الابتعاد عن حضور الاجتماعات العامة خصوصاً فى المحلات المغلقة ، واستعمال مطهرات الأنف كزيت الاوكالبتوس صباحاً ومساءً . ومطهرات الحلق مثل الماء المضاف إليه قط اليود والابتعاد عن المرضى .

ونقصر هذا المقال على بحوث الأسماك وهي بحوث يمكن  
نطبقها على الأحياء المائية الأخرى مع بعض تغيير في الطرائق  
فخصي به نكوبها المختلف وروح حياتها الخاص  
أول ما ينبغي به من بدير شأنا من الشؤون كبحر أو بحيرة  
هو أن يعرف ما يحويه التربة من معادن في طيفه محصورة أو ما يهبش  
في البحيرة من مخلوقات ماصة أو ضارة لذا كان أول ما همم به  
المصائد هو أن يتعرض المخلوقات التي تعيش في مياهه فعمل لها  
سحلا . وعلى أساس هذا السجل يستطيع أن يتعرف طرائق بحثه  
وأن مؤلفا جليلا مثل «أسماك النيل» (بولابج) أو «أسماك البحر  
الأحمر» لكلوا قسما لمحاولة موفقة في هذا السجل على غير  
المصائد أن يجمع المعلومات من المصائد المصرية المختلفة عن أنواع  
الأسماك التي تدخل أسواقها ، بل والأنواع الأخرى التي لا يهتم بها  
صيادونا أولا يعرفون طرق صيدها . وليس عمل قاعة بجميع أسماك  
المياه المصرية سهلا كما يتراءى لأول وهلة . فقد ظهر كتاب «وصف  
مصر» الذي قامت به البعث الفرنسية الملحقه بحملة يونانيرت إلى  
يومنا هذا لم تبلغ بعد قائمة أسماكها حد التمام خصوصا في البحري  
الأحمر والأبيض . فتمت أسماك لا يعرف صيادو البحر الأبيض  
طرق صيدها ( وأخصها بالأسماك الرجل ) كما أن طرق الصيد  
في البحر الأحمر لما تزال على حال من البساطة يتعسر معها الحصول  
على جزء كبير من الأسماك التي تعيش في ذلك البحر .

قامام أخصائي المصائد في مصر سنوات طويلة يقضونها في البحث  
المواصل حتى تم قائمة الأسماك المصرية مرتبة حسب الأنواع  
والصفات والجناس . كما ينبغي أن تدعم هذه القائمة بمحف كامل  
يضم تاذج من جميع أسماك جيدة الحفظ جليلة العرض .

كذلك ينبغي لأخصائي بحيرة مواطن الأسماك فتمت أسماك تقطن  
الماء العذب وأخرى تقطن الماء المالح . وغيرهاتيش في البحار  
أو تنقل بين الماء العذب وماء البحر . ومن الأسماك الحرة مائيش  
على القاع . وتفضل نوعا من القاع وميا أو صغريا أو طينا  
ومنها مائيش الصخور ومرجاتها . ومنها مائيش في طبقات الماء  
العليا أو السفلى متقلة بين مناطق الحر سريعة الحركة

وفي مياه النيل يهنا أن نعرف مواطن كل نوع من أسماك  
تلك التي تأوى إلى الحشائش أو تعيش على القاع الطيني . وتلك التي  
تقاوم التيار أو تقاوم كمة من الملوحة تسمح لها بالحياة إذا ما وصلت  
مع المصارف إلى بحيرات ذات الماء المالح

فإذا عرفنا مواطن كل نوع من السمك وجب علينا أن ندرس  
نوالده . فمما تبلغ الأسماك طولها ما بين 10 سم إلى 1 متر باختلاف الأنواع

يصبح جهازها من قسلي . مما يجر إلى أن أجسام كرويه بدو تشبه  
المجردة كما يظهر ذلك بوضوح قطرة من الطارخ . وليست هذه إلا  
مينا مثلا يويضات أنى البورى المائضة . وإذا نضج الانثى  
هي مادة البيض . وذلك بأن تلقى بالآلاف من يويضاتها في  
الماء . إما على قاع رمل أو طيني . أو من الحصى أو الأعشاب المائية  
أو في شقوق الصخور . أو في أوكار محفورة في الطين . أو بين  
خمس من الماء حيث تقي البويضات عازمة . جعل ثقلها النوعي  
وكذا يضح الذكر عند طول معلوم بغرب من طول الانثى  
ويطلب أن يكون أقل قليلا . ويضع جهازه التناسلي خليات سريعة  
الحركة لاتراها العين المجردة . ففى موسم التوالد تتألف الذكور  
والإناث ، فأنكاد تلقى الانثى يويضاتها في مكان من الأماكن التي  
لطف ذكرها حتى يقدم الذكر إلى ذلك المكان ليلقى عيلاين  
من تلك الخليات السريعة الحركة بحام البويضات التي لا حراك  
بها . وتسرع تلك الخلايا إلى الاندماج في البويضات . وقد يجمع  
البويضة بضعة من تلك الخلايا . فلا ترضى منها غير واحدة  
تتغلغل داخلها وتخرج بها كل الامتزاز . ويص  
هذا الاتصال في البويضة حياة جديدة إذ تقسم — وهي خلية  
واحدة — إلى ملايين من الخلايا تتطور حتى تصبح مخلوقا صغيرا  
لا يشبه والديه فهو عوط فضلاء رقيق هو غشاء البويضة الخارجى  
يديه ثم يخرج إلى الماء مزودا بكيس يحى يكون غذاءه في الأيام  
الأولى . فإذا ما نفذ ذلك الغذاء أصبح الجنين سمكا صغيرا يسى  
وراء غذائه . وهو لا يزيد طولا على بضعة مليمترات . ولا يزال  
يكبر حتى يبلغ بدوره الطول الذى تحتاج فيه أعضاءه التناسلية أن  
ذكرها وإن أنثى .

على أن السمك وقد بلغ ذلك الطول لا يبيض طوال السنة  
لان عملية خروج الجهاز التناسلي عملية دورية تبلغ تمامها في وقت  
مبين من السنة . يختلف باختلاف الأنواع : ففى أسماك قيس في  
الشتاء وأخرى في الربيع أو الخريف أو الصيف . وقد يستمر  
مبيضها أياما أو شهورا . وكذا يقع الذكر تطورا موازيا لتطور  
كل أنثى من نوعه

وتهم أمثال هذه الحقائق — كعرفة عمر الأسماك والطول  
الذى ينضج عنده جهازها التناسلي — من أهم القواعد التي يستند  
عليها التطبيق العملي . لانه لما كان من الضروري أن يسمح لا كبر  
عدد من الأسماك بالتوالد وجب أن يعرف وقت هذا التوالد  
حماية النوع رد عادية الصاد عنه . وهذه الحماية لا تقاوم إلا برب  
حسب . بل يجب أن ننال إلى البحوث وأمر أحياء



وبدا نأكل من المياه أثناء هذه المناطق نرى حشاها الأسماك وقت التوالد فيسمع الصياد فيها من ذلك مثلا أنواع البلط التي يصير ويخرج بين الحشائش المائية ( كالتردى ) فيحب انبعاثها من تلك المناطق أثناء موسم التوالد ومن أسماكنا كالبورى والطوبار ما يترك الماء العذب أو البحيرات الشاطئية ليخرج الى البحر فيمصرخ -

ولما كان يخرج هذه البحيرات الى البحر يغاراً ضيقاً . أصبح واجباً منع الصيد بتأثير البواغيز الموصلة بين البحيرة والبحر السماح للبورى والطوبار بالخروج الى البحر . ولا فرائخه - وهى تقدر بالملايين - بالعودة الى البحيرات

كأننا هذه المعلومات البيولوجية استطعنا أن نرى بالشرط الاول من شروط علم الحيوان التطبيقي . وهى حماية النوع بمساعدة الطبيعة في مجدها نحو صفاته .

على أن هذه المعلومات يمكن الانتفاع بها على وجه آخر . إذ يمكن للاخصائي أن يقلد الطبيعة في عملها بأعداد أمكنة خاصة لإفراخ الأسماك ونميتها بالعناية . وذلك برد أعينها عنها وتغذيتها تقديراً تساعد على نموها الساجل . كذلك يستطيع نقل الأسماك من جهة تكثر نبيها الى جهة صالحة لنموها وتوالدها ولكنها فقيرة منها .

وفي البحار تتخذ هذه المسائل طابعها الخاص . ولكن الدراسة تقضى منا أيضاً بتعرف حياة الأسماك البحرية من سرعة نموها الى أمكنة توالدها الى هجرتها .

لقد كان حديثنا حتى الآن عن السمك نفسه تلك الوحدة الحية التي ليست سوى جزء من كل . وهذا الكل هو الوسط الذي يعيش فيه الأسماك ولها به صلات وثيقة . لذا كانت دراسة هذا الوسط تعادل في الأهمية دراسة السمك نفسه . وهذا الوسط متجانس ظاهراً ولكن كم من العوامل تجعل من هذا التجانس الظاهر اختلافات عديدة . ومن الطبيعي أن يتأثر المخلوق المائي بتلك

العوامل . لقد كانت جميع المخلوقات في ظلام التاريخ الجيولوجي تعيش في الماء مرة التكوين سهلة التأثير بالعوامل المحيطة . وقد احتفظت المخلوقات التي لا تزال تعيش في الوسط المائي بتلك المرونة التكيفية التي كانت الاصل في تعدد الأوراع . ودراسة الوسط المائي دراسة تفصيلية تبنى ضوياً جديداً على عوامل التطور على أن لهذه الدراسة أهميتها العملية . فالوسط المائي يشتر أعمال الانحسار شطرين - بيولوجيا المياه الحرة . وبيولوجيا المياه العذبة . وقد يصل الشطران إذ يختلط وسط وآخر كما يحدث

ذلك في بحيرات الساحل أو مختلط بخران من تكوين وطبيعة مختلفين كما حدث ذلك بحيرة قارة السويس .

ما عتاً اختلافات المياه العذبة والماء وسط متجانس ؟ أزلها وأحمرها بوجد المواد الدائمة فيه . ويشأ عن وجود هذه المواد طواهر كيميائية طبيعية أهمها « الأسوز » ومن أطهر المواد الدائمة في البحار كلورور الصوديوم والمخلوق المائي يعيش في حالة توازن كيميائي طبيعي مع الوسط المحيط . ولقوة الأسوز الد الطولي في هذا التوازن . فإذا عطا سمكة من أسماك الماء العذب الى البحر احتل هذا التوازن وعجزت السمكة عن مقاومة هذا الاختلال طويلاً ثم ماتت . وكذا العكس

على أنب هناك غير قليل من الأسماك دخلت من البحر الى البحيرات الساحلية . وتعودت مياهها أقل ملوحة من مياه البحر . بل قد تصل في عدوتها الى ما يدبها من مياه الأنهار . بل هناك أسماك تتحمل الحياة في الماء العذب والبحر على السواء . على أن تلك الأسماك البحرية التي تعودت الحياة في الماء العذب أو الأجاء تدفعها فطرتها الى العودة الى البحر لتفرخ . وإذا امتنع عليها الوصول الى البحر أصابها المقم . وتلك حالة تعاني السمك ( الاقليس ) والبورى والطوبار من أسماكنا المصرية

وعرف سكان المنزلة والبرلس وأدكو تلك الظاهرة حتى المعروفة . إذ تخرج آلاف البورى والطوبار الى البحر في مواسم معينة يطلقون عليها « الخرجيات »

وقد اكتشف الأستاذ ( يوهانس شيدت ) اكتشافاً بعد من أغرب ما وصل اليه اليكشاف العلمى في البحار . وهو أن تعان السمك التي تعيش في الأنهار والبحيرات الاوربية تخرج الى عرض الاقيانوس الاطلنطى لتفرخ قرب جزر ( الاثيل ) عند منطقة تسمى بحر سارجاس .

وتهاجر تعان السمك الامريكية شرقاً لتلقى بشاين السمك الاوربية في منطقة بحر سارجاس

فإذا انتهى موسم الافراخ اتجهت أفراخ التعان الاوربية شرقاً وأفراخ التعان الامريكية غرباً حتى يصل كل منها الى قارته . فبدخل الأنهار في شكل أسماك مستديرة زجاجية يضاء اللون وهى ما تسمى بالخنكليس . وتعرف بمصر هذه الظاهرة . أى خروج تعان الى البحر وعدة آلاف الخنكليس الى البحيرات الشاطئية ودخولها نهر النيل .

وتلك طواهر نراها رأى العين في مصر . ولو أننا لانزال في شك بما إذا كانت التعان المصرية تفرخ وسط الاطلانطق أو

في البحر الايض المتوسط .

لقد أوردنا تلك الامثلة لنبين الى أي حد وصلت مرونة تلك الاسماك في نقلها تغير قوة الاستموز .

كما يهم الباحث معرفة الاكسجين الذائب في مياه ما . لانه ترتفع عليه نفس الاسماك . ألا ان احتياج نوع من السمك الى كمية من الاكسجين لا يوازي احتياج نوع آخر . فقد يموت نوع اذا سقط مقدار الاكسجين الذائب الى جرامات في المتر مثلا فيما يقاوم نوع آخر حتى يبلغ الاكسجين جرام ونصف في المتر ثم ندو عليه علامات الضيق . حتى يموت .

ولكل هذا أثره في مواطن الاسماك . أسماك لا تعيش الا في مجاري المياه الجلية حيث المياه جارية نذيب في ثقتها كمية كبيرة من الاكسجين . وأفضل مثل على هذا سمك (الترونا) المعروف في البلاد ذات المجاري السريعة الجلية كويسره واسكتندا وكندا الخ . وأسماك تعيش في الأودية كسمك الكارب والتافش في أوروبا وجميع أسماك مياهها العذبة .

كذلك يهم الباحث معرفة درجة حرارة المياه وحركاتها كالتيارات والمد والجزر لأن لكل واحدة من هذه المسائل أهميتها في دراسة الأسماك . فهذا النوع يفرخ أذ تصل حرارة المياه التي يعيش فيها الى درجة معينة . وذلك النوع ينشئ المياه الهادئة كى يفرخ في مأمن من التيار الخ .

وقد سبق الكلام عن أهمية دراسة القاع لمعرفة الأنواع التي تعيشه . ودراسة القاع تدخيل ضمن علم الصخور وهو فرع من الجيولوجيا

ودراسة غذاء الأسماك يطرق بنا الى دراسات بيولوجية أخرى . فليتنا أن نعرف نوع الغذاء . فمن أسماك تتغذى على أسماك أصغر منها . أو حيوانات صدفية أو ذرات الفسور أو ديدان . الى أسماك لا تتعدى الا بالبيانات المائية

وعلى أخصائي الأسماك أن يعرف جميع الأنواع التي تكون ذلك الغذاء . وحياة هذه الأرواح . ومما لاشك فيه أن نوع الغذاء أثره واضحا في شكل الأسماك . فلكل الأرواح التي تحتاج في غذائها الى المطاردة السريعة يتخذ جسمها الشكل المفلر . وهو أقرب الأشكال للحركة السريعة . كما نرى في التونة واللامطة . وتلك الأرواح التي نجد غذاءها على القاع يتطور شكلها شكلاً لجلباتها الهادئة .

بهي مطبوحة كما نرى ذلك في سمك موسى وأشباهه

ولا يستطيع خبير المصائد أن يقرر صلاحية بحيرة أو بركة

لترية نوع خاص من السمك قبل أن يقرر نوع الغذاء الذي يفتات منه . بل وأفضل تدبئة تعجل في نموه وتكسب له صفات شهية

وعناق هذا المقال أن نمر سراجا على شتى المسائل التي غمارها بحوث مصائد الأسماك . وهي متعددة الوجوه لا يستطيع فرد واحد أن يصطلع بها . بل هي في حاجة الى معرفة من أخصائين ذوي ثقافة عالية فربما تشمل علومها مجملتها منها التاريخ الطبيعي بأنواعه « علم الحيوان والنبات والجيولوجيا » وعلوم الكيمياء والطبقة . ودراسة الأوصاف الجوية ومبادئ الأحياء

على أننا لم نأت على آخر ما ينبغي على أخصائي بحوث المصائد أن يعرفه . إذ أن هذه العلوم تنفع في تطبيقها العمل في الظروف الخاصة بكل إقليم

ولنضرب مثالا لذلك نظام الري في مصر . من رى الجياض وما اليه من يارات وموات . وري الدلتا بترعة ومصارفه وانصالة بالمحيرات النشطة . وأثر الحزانات والقناطر . تلك مظاهر مائية نكاد تكون حاضرة ببلادنا . وهي لهذا تفتح أمام خبير المصائد فتحا جديداً في التطبيق العملي . إذ من المثل أن يطبق الألمان بلا تبصر طرائق بلاد على بلاد أخرى . وإنما عليه أن يجد لكل حالة ما يلائمها معتمدا على دراسة مبنية . وتجربة متعددة الوجوه . وهم في نظراهم الخاصة بالبلاد

\*\*\*\*\*

## هرمن ودرويه

للكاتب الألماني الكبير

جوته

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الكتاب . وهو من أحسن ما ألفه شاعر ألمانيا الأكر . وقد نقله عن الألمانية الدكتور محمد عوض محمد . وكتب المقدمة الأستاذ الدكتور طه حسين . ويطلب الكتاب من المكتبات المعروفة ومن إدارة اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ وثمن النسخة خمسة قروش

\*\*\*\*\*

## زوروا مطبعة فاروق

٢٨ شارع المدافع مصر

# القصص

## مشاهدات غريبة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

أستاذ الكيمياء بكلية الطب

١

### في منجم

كانت ليلة السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٧٨ مرعد انقباد الجمعية العلمية الكيميائية إلى الكلية، وكان المقرر أن يذهب أعضاءنا لزيارة منجم فحم على بعد ميلين أو ثلاثة من نوتجهم. فبعد أن تناولنا الشاي بالكلية خرجنا ومعنا الرئيس الأستاذ بارتون (١) فركبنا الترام إلى المنجم، وهناك وجدنا بعض رجاله ينتظروننا، فقبل لنا أنه لا بد من أن يحمل كل منا مصباحاً يضيء به، وقادونا إلى غرفة المصباح أو بالأحرى مخزنها، وقد ذكر في حين دخله بمخزن القناديل في مسجد البلد أيام كان المسجد يضاء بالقناديل، فقد كانت رائحة الزيت المحترق تفوح من المصباح الموقدة المصفوقة. وكان كل مصباح عبارة عن قيلة داخل أسطوانة قصيرة من الزجاج متصلة من أعلاها بخروط ناقص من شبك الحديد، يظهره مثله من صفائح النحاس، وهذا ينتهي بحلقة يعمل منها المصباح كلني عندها أسلاك تتصل بالقاعدة وتوصون زجاجتها هذا هو مصباح (دافى) اخترعه السير (هنري دافى) لأول مرة سنة ١٨٦٥ وهو على بساطته جم النفع، لأن شبكة الحديدية تحول بين اللهب والمصباح — أو لمب ما قد يدخله من غازات ربما تصاعدت من شقوق يصيبها العامل في انقضاء الفحم — وبين أن يتمد إلى ما قد يحالطه هواء المنجم من غاز قابل للاشتعال. فيحترق دفعة واحدة فيفسد ما حوله. وتلك خاصة من خواص ما شابه كان رحمه الله ملا لعلق الكريم وقلم الراس والعمامة الجيدة. بدأ حياته بكلية زنتهم سينا من ميان ساطيا بضمها وينظم فيها راقص إلى عالم أستاذ الفيزياء بها وقد انتخب زميلاً للجمعية الملكية.

الحديد والحاس من المعادن أنها لسهولة سريان الحرارة فيها إذا لامست غازاً ملتها أخذت من حرارته ما يكفي لتخفيض درجتها عن درجة الاشتعال، فإذا نفاذ الغاز منها إلى خارجها تغير ملتهب حمل كل منا مصباحاً وذهنا لنزل المنجم فافنا المنزل إلى فوهتان كأنهما ثوران متجاوران منصوب عليهما قواسم متشابهة من الحديد عظيم حجمها وارتفاعها. تحمل في أعلاها جهازاً يتدل منه سلسلة متينة. حل في طرفها صندوقين كل صندوق في فوهة. والسلسلة من الطول بحيث إذا حاذى أحد الصندوقين وجه الأرض، من الآخر أرض المنجم على عمق خمس وسبعين وماتى ياردة. هذا هو الرافع الذي يرفع به الفحم إلى سطح الأرض وتلك لا كالذي نعرف عن الرافع، فانه على سماجته التي لا تليق بما جعل له، عجيب في نظامه وحركته. وهو يتحرك بالكهرباء. يدير العامل مفتاحاً في إحدى تلك القواسم، فيدق جرس صغير ثلاث دقائق في باطن الأرض وفي ظهرها ايذاناً، وعندئذ يهوى أحد الصندوقين ويرتفع الآخر بسرعة ثلاثين ميلاً في الساعة وكل منهما في يده مربوطه بدع سلسلة كان قد رفعها ثقل حائراً من من خشب فيسد باب الفوهة. فإذا ما قارب الصندوق مقروء في صعوده، رفع السلسلة فابفتح الباب

بدأنا لنزول متصفين الساعة السابعة، فدخلنا عشرة صندوقاً فوسمهم مع العامل واثنتين متلاصقتين. وإذا في أرض الصندوق قضبان حديدان إذا بلغ الصندوق أرض المنجم كونا جرمًا من السكة الحديدية الممتدة فيه، وعليها توقف عربات الفحم وترفع بها فيها إلى سطح الأرض. والحابط إلى المنجم شعر بالمالك شمعت بعضه إذا كنت هبطت راكبا بعض مصاعد الحوائف التجارية أو المبانى الكبرى. ينيل إليه أن الرافع قد هوى من تحت قدميه. ويفى هذا الشعور عندك كلما زادت سرعة الجيوب حتى إذا بدأت تتناقص في النصف الآخر من المسافة وأحسن حمل أرض الرافع لقدسية أكثر من قبل خيل إليه أنه صاعد وليس بصاعد. وفي صعوده يشعر بعكس ما شعر في هبوطه. فلما تكامل عددنا داخل المنجم ذهبنا إلى غرفة الملابس فخلع بعضنا فيها رداءه. ثم سرنا في طرق

# المبارزة

للكتاب الروسي اسكندر بوشكين

كما لمسك في قرية روسية صموية ، وأنت تدرك بالطبع حياة  
السايط وما تكون عليه ، تؤدي في الصالح التمرينات العسكرية  
وتتدرب على ركوب الخيل ، ثم تناول طعام الغداء عند قائد العربة  
أو في المطعم اليهودي ، فإذا جاء الليل أخذنا نشرب الخمر ولعب الورق ،  
ولم يكن لأغير هذا الجانب الضيق من الحياة ، لأن الفتيات الناصحات  
لم يكن يسمح لمن بالخروج . وكنا نغني الوقت مما حتى إذا  
احتملنا لم نجد مينا مراداً لا يرتدى الملابس الرسمية .

ثم نمرنا إلى شخص من غير الجنود ، ومع أنه كان في الخامسة  
والثلاثين تقريباً كنا نعتبره أكبر من هذا بكثير ، وكنا نعتقد في  
حكته وكثرة تجاربه ، ولقد أسبرنا نحن الشبان بكرمه وقوة شخصيته  
وما فطر عليه من قبحهم وعدم الاكثارات . وغداً لنا أن وراء هذا  
كله شيئاً يكتمه ، وأن بين خلوعه سرّاً يطويه . ولقد نشأ أنه كان  
في فرقة الفرسان يشده له الجميع بالتفوق والنشاط ، ثم استقال منها  
بجأة لسبب مجهول ، واختفى في هذه القرية الصغيرة ؛ ومع تلك معاشه  
كنا نراه يفتق عن سعة ويتبع بيننا نحن الضباط ، فإذا جلسنا إلى  
مائدته استطعنا أن نأكل ثلاثة أصناف من الطعام ، وأن نشرب الكثير  
من كؤوس الشبانيا ؛ ولم تكن نعرف شيئاً من شؤونه الخاصة ،  
غير أن الذي يبد له طعامه هو خادمه المحوز الذي كان في مطلع  
حياته جندياً ؛ ولم يجر أحد على سؤاله عن حياته أو ماضيه .  
وكانت له مكتبة طائفة بالكثف - معظمها خلسة بالجندي وما

والعامل في منجم الفحم يتقاضى أجراً كبيراً لما في عمله من الخطر  
والمشقة ، وهو يحاسب على كل طن يقتطعه ، وقد يقطع ما يؤجر عليه  
سعة جنهات في الأسبوع . وقد وجدنا أن المنجم ينقسم إلى مناطق  
صغيرة كل منطقة لها رمز عدد أو حرف تعرف به ويعرف به  
العامل فيها وكلما ملا عامل عربة كتب رمزه على كل قطعة ظاهرة  
من فحمها ليبرق أنها له تنضاف إلى حسابه . والمنجم الذي وراءه  
كان يستخرج منه في اليوم في ذلك الحين مائة وألف طن من الفحم  
لقلة العمال . وقبل الحرب كان يستخرج منه حوالي خمسة آلاف  
طن في اليوم .

محمد احمد النمر اوى

فيها بعض سعة - تقوياً آتية صافية ، وهورها مصايح كهربائية ، زبد  
زيارة الجهاز الكهربائي الضخم الذي يحرق عرقات الفحم من مسافة  
لا تقل عن ميل . ولا نظن للمرمات تتحرك كما تتحرك الترام ،  
ولكن عجل غليظ مشدود بها إذا دار الجهاز طورت اسطوانة  
كبيرة بسرعة كبيرة فالتف عليها الخيل فاجرت العربات . ثم دهننا  
رأينا مرابط الخيل التي تجر العربات فيها وراء الخيل ، فإذا هي ليست  
أسعد حالاً من خيول جر الانتقال في مصر . وهي شرماً في أنها  
قائمة بائمة تحت الأرض لا ترى الشمس بعدد لها المنجم حتى تموت  
ثم سرنا بعد ذلك ميلين في طرق قضيق حتى لا نكاد نسمع  
لشخصين يسيران جاً بجانب ، كانت من قبل عروق الفحم في الأرض  
مضجها المامل بصبره ومعرله ، ناعماً على بطنه ومستلقياً على ظهره  
وما تلا على جنبه ومنحني وقائماً . وكلما قرب حطرات إلى الارتفاع  
المرسوم جاء بالأخشاب الغليظة يجعلها سقفا يحمل طبقات الفحم  
أو الطين حتى لا تنهار ؛ تحملها من جانبيه قوائم من مثله أقيمت عمودية  
على جانبي الطريق . ولم يغزل مسيرنا في تلك الطرقات من تعب ،  
فكثيراً ما كنا نسير فيها صحتين بحس السقف بأعيننا والأرض  
بأرجلنا ؛ ولكننا كنا نتخذ من ذلك كله مكاحات نضحك لها .  
فن كان يرانا عندنا . كان يرى أشباحاً يحمل كل منها مصباحاً . ولم  
يحل منظر المصايح يتلو بعضها بعضاً من جهة في تلك الظلمة ؛ ثم  
كان يسمع أصواتاً تجاور ، فلا يكاد القائد يتزل - وكثيراً ما كان  
يقول : - رأسك والخشعة ! حتى يرمع بها صوته من خلفه . ولا  
يرالد في يفتي بها إلى فم كلما مر بالخشعة شخص حتى يبلغ آخر  
الصف . وقد تسمع بين ذلك همساً بصيح . وادماغاه ؛ وذلك :  
واركبتاه أو تسمع سائلاً يسأل وآخر يجيب . وأحياناً إذا استقام  
الطريق كانت ترفع أصوات بعض الغناء غنية بما ، فتجده عند  
ما يجد الجندي الذي أتعب السير المرسقي . وكنا نظن أننا ذاهبون  
لنرى القاطعات الكهربائية التي تقطع الفحم ؛ فإذا بالقائد يقودنا  
كل تلك المسافة ليرينا الفحم أين هو ؛ فلما سألناه عن القاطعات  
قال هي في جهة أخرى لا نصل إليها من مرفقنا ذلك إلا عند  
منتصف الليل . فوجدنا أدراجنا تقول : متى بلغ ؟ ولم يلفه إلا  
بعد الثامنة . فكتب كل منا اسمه في دفتر الزائرين ثم بعدنا نوزعنا  
المولد الكهربائي الذي يدبر تلك الآلات كلها . فإذا بالآلات يحار  
فيها المنكر في غرفة عريضا عشرون خطوة وطولها خمسون شروفاً .  
ويكفي لتقدير عظم آلتها أن البار يتولد عن قوة محرك كهربائية  
قدرها ٢٥٠٠ فولت . ولعل ترام القاهرة لا تزيد القوة المحركة  
لتياره على خمسين

يصل بها - يهرها مسروراً ولا يزال عنها بعد ذلك ، كما أنه إذا استأجر كتاباً لم يشكر في رده إلى صاحبه . . . فإذا دخلت غرفته وجدت حبرها منطاة بطرود الرصاص فيكتبها ذلك شكل عن الزبور : ولم يكن في داره من معالم الترف غير مجموعة تحفة من النادق والاسلحة .

وهو يرتدى في الغالب سترة رثة . فإذا نظرت إلى ملامح وجهه وحدته روحياً في الصميم ، مع انه يعمل اسماً أحياناً . ولقد كان ماهراً في الرحاية إلى حد أنه يصوب بندقيته إلى خوذة الواحد منا فيصيدها دون أن ينال صاحبها بسوء . . . وكثيراً ما يحدثنا عن المبارزة ، ولكن « سليفو » - ونسبه بهذا الاسم - لم يكن يشترك معنا في الحديث ، فلذا ما سأله أحدنا عما إذا كان قد تبارز في حياته ، رد بالإعجاب ولم يزد ، وخيل لي أنه يكره هذا الموضوع لأنه يشير ذكرى حادثة مينة قتل فيها فرد معين من سحاياه المديدين .

وفي ذات يوم كان يتناول طعام الغداء في منزل « سليفو » ثمانية أو تسعة من الضباط ، وكنت أحدهم ، واذكر أننا شربنا وأسرنا في الشراب ، فلما انتهينا من طماننا رجونا من مضيفنا أن يكون أسبق الصندوق في لعب البليارد ، ولكنه رفض ، لأنه قلما يلعب ، فلما أمررنا طلب لنا الورق وجلسنا إلى جانبه على شكل دائرة أخذنا نلعب .

لم يتحدث الرجل أثناء اللعب ولم يجره إلى المنازعة أو الشرح ، وكان إذا أخطأ أحدنا أعطاه ماله أو حيز ما عليه نفسه . وكنا جميعاً نعرف طريقته . . . وحدث أثناء اللعب أن ضاعف أحدنا - وكان ضابطاً حديث العهد بمعسكرنا - رهانه على ورقة بالذات دون قصد منه لانشغاله وذهوله ، فما كان من سليفو إلا أن تناول قطعة الطاشير وكتب البلغ المطلوب فقط . . . عارض الضابط وأراد أن يصحح خطأه ، ولكن سليفو لم يجره اهتمامه ، وظل يدير اللعب كأن لم يحدث شيء . . . وهنا تناول الضابط الطلاسة وعما الأرقام ، فأجاب مضيفنا على ذلك بأن أعاد كتابتها في هدوئه المهدوء . كان الضابط متأثراً بالشراب وبالله وبضعفاته وملائته الساخرة فظن أنه أهين ، وتناول شمعانا رمي به وجه سليفو ولكنه اغنى قليلاً إلى الامام فأخطأته الضربة . فمددنا جميعاً وانتظرنا ماذا يكون بينهما .

وقف مضيفنا شاحباً . وسدد إلى الضابط نظرات دونها نظرات القصور وقال له « لتأخذ المكان يا سيدي ولتشكر الله على أنه ما سمحت كان في بيتي »

ولم نلتك لحظة في نتيجة هذا الحادث وما سوف يسفر عنه من قتل زميلنا الجديد . وفظنا جميعاً إليه وهو يتأخر المزل في وجوم ملنا استعداده لمقابلة سليفو في الوقت الذي يراه . وطيس ألا يجسر اللعب بعد ذلك كثيراً لأننا انصرفنا واحداً بعد واحد لما رأينا على مضيفنا من علامات الدهول والانفعال . ولم نكدهود إلى معسكرنا حتى أخذنا نتحدث فيما سيؤول إليه هذا الحادث الجديد .

وفي صبيحة اليوم التالي عندما كنا نقوم بتجهيزنا العادي على ركوب الخيل تساءلنا هل مات الضابط أم لا يزال على قيد الحياة ؟ ولكنه ظهر بيننا . فمعجنا للأمر وأمطرناه وبلا من الاثلة ، فأجابنا أنه لم يتلق دعوة ما إلى المبارزة من سليفو . وأمرنا بالزيارة الرجل في منزله فوجدناه يتسرب على اطلاق الرصاص وقد ألصق بالباب غرضاً جميل يصوب الطلقات اليه تباعاً فلا يخطئه . فلما رأنا تلقائاً كعادته . ولم يذكر لنا شيئاً عن حادث الليلة الماضية . . . ومثرت ثلاثة أيام والضابط لا يزال على قيد الحياة ، ونحن نقابل ( ألا يتبارز سليفو ؟ ) أجل أن يتأخر الرجل قبل راج شرح الاسباب العرجاء التي لم تقع أحدنا منا .

وهذا الرفض وذلك الاحتمال من جانب الرجل - أساء إلى سمعته بيننا نحن الشبان . لأن الشبان لا يقتصر الجبن ، ويعتقد أن الشجاعة خير الصفات التي يجب أن يتصف بها المرء في جهاد الحياة ، وأن الشجاع يستطيع لنفسه كل شيء : يحلل الحرام ويحرم الحلال . ولكن سرعان ما سبنا كل شيء بعد مدة ، وسرعان ما استعاد سليفو مكانه القديم بيننا .

وفي الحق أن رأيي في هذا الرجل لم يمد إلى ما كان عليه ، لأنني رومانتيكي في خيالي وتفكيري ، ولقد أحببت هذا الرجل أكثر من يبري ، مع أنه كان لغراً للجميع . وكنت أصوره دائماً يطلا كدرامة رائعة . وكنت واقفاً من أنه يعني ، فلذا انفردي ترك تمككه اللاذع وراح يتحدث معي في شق المواضع ، ولكنني بعد الحادث المعروف لم أكن أطمئن إليه ولا أرتاح إلى حديثه ، لا اعتقادي أنه أهين ولم يغفل إهائته بالسلم ، وكنت أتخاشى مقابله أو النظر إليه . وكان الرجل من الذكاء ونفاذ البصيرة بحيث أدرك تماماً سبب تفريري . وخيل لي مراراً أنه يريد أن يتحدث إلى في هذا الموضوع

ولكنه تجاشيته ولم يصبر من جائده على الحديث

( يتبع ) عبد الحميد يونس

# الكتب

## فتح العرب لمصر

تأليف الدكتور ألفرد ج. بتلر

وتعريب محمد فريد أبو حديد

للاستاذ عبد الحميد العادى

أستاذ التاريخ بكلية الآداب

سمعت أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد يقول مرة ما معناه :  
أنا الآن في دور النقل والتعريب من حياتنا العلمية . وهو قول  
لا غبار عليه ، فإن زمن الانحصار على تراثنا العلمى والأدبى القديم قد  
انقضى منذ عهد بعيد . وزمن الابتكار فى العلم والأدب لم يأت بعد ،  
وينبغى أن يتقدمه زمن توفر فيه على نقل أصول العلوم والفنون  
والآداب الغربية إلى لغتنا العربية إقتداء بما فعل السلف الصالح فى  
صعود الدولة العباسية .

أنا بهذا التوفر نبت فى حياتنا العلمية روحا جديدا . ونكسبها  
مادة جديدة وأسلوبا فى البحث والعرض العلمى جديدا . ويكون  
قد مهدنا للحياة العلمية المستقلة . وأعدنا لها أساسا قويا واسعا  
لا ينحصر عليه من تطاول البيان ومرور الزمان . ونكون قد أدينا  
واجب العلم والوطن والانسانية جميعا .

لكن الترجمة الصحيحة عبء ثقيل مفضل يقتضى كثيرا من الجهد  
والتضحية . ففى من ناحية الترجمة تتطلب غزارة علم وأدب . وأنكارا  
شديدا للذات . يستغنى به المترجم أن يكون أسيرا للؤلؤ الذى  
ينقله . وقليل من الناس من يصبر على مثل هذا العناء . ثم هو يقتضى  
من ناحية الناشر ، وعظامة فى بلدنا هذا ، أن يوطن نفسه على الحسارة  
المادية نصيبه مما ينشر . فإذا استطاع أن يخرج من الأمر كفافا  
لا له ولا عليه فحبه ذلك .

والناشر بعد تاجر يقيس قيمة الكتب بالقائمة المادية المترجمة  
منها ، فإذا حملته على أن يرضى ماله للضياع ؟

من أجل ذلك كسبت سوتى الترجمة فى بلدنا . وتأثرت حياتنا  
الأدبية بهذا الكساد تأثرا شديدا . حتى أصبحت لا شرف فى ولا غربة .  
ولا قدعة ولا حديث . ولكن الحمد لله . فقد أخذت هذه الحال  
تؤخذ بالاعتدال والحوال . وآية ذلك ما سمعته عن التفكير ووضع  
قاموس عربى جديد يجمع شتات اللغة التى أصبحت إلى حد بعيد  
سماجية غير مدونة . ومن آيته أيضا ما ترجم فى السنوات الأخيرة  
من غرر أدب العرب وعلمه . نذكر من هذه الغرر على سبيل المثال :  
كتاب الجمهورية لأبلاطون . وكتاب الأخلاق . وكتاب الكون  
والفساد . ونظام الأثينيين لأرسطو . وآلام فرتر لجوته . وفارست  
له أيضا . والشاهنامة للفردوسى . وأصل الأنواع لداروين . ثم كتاب  
فتح العرب لمصر . وهو الذى صفنا هذه المقدمة ثميدا للتعريف  
به أصلا وترجمة .

ألف كتاب (فتح العرب لمصر) منذ ثلاثين سنة بحماسة انجليزية  
هو الدكتور ألفرد ج. بتلر . ونقله إلى العربية منذ عام صدقنا  
الاستاذ محمد فريد أبو حديد . ثم نشرته فى هذه الأيام لجنة المباركة  
لجنة التأليف والترجمة والنشر . والكتاب يقع فى قرابة ستائة  
صفحة مكسورة على ثلاثين فصلا وبضعة ملحقات . فى الفصول  
الأربعة الأولى يعرض المؤلف الحال السياسية العامة للدولة الرومانية  
فى أوائل القرن السابع الميلادى ويتكلم عن الثورة التى انتهت بأن  
أصبح هرقل حاكم الدولة المذكورة . وفى الفصل الخامس والسادس  
والسابع والثامن والتاسع يتكلم عن غزو الفرس الشام ومصر .  
فهذه هرقل واسترداده الأقليمين المذكورين وعقده مع الفرس  
صلحا أعاد إلى الروم شرفهم العسكرى . فآخذ الأدبية للاسكندرية  
خاصة لذلك العهد . وفى الفصل العاشر والحادى عشر والثانى عشر  
والثالث عشر يتكلم عن ظهور الاسلام . وفتح العرب الشام  
ومصر . واضطهاد قيس الطبريك الملكانى للقباط فى السنوات  
العشر السابقة على الفتح . ومن الفصل الرابع عشر  
إلى الثالث والعشرين يفصل المؤلف الكلام عن حوادث الفتح  
العربى لمصر . فيتكلم عن زحف عمرو بن العاص على مصر وبلوغه  
مدينة مصر . وفروا اليوم . فواقعة عين شمس . فحصار حصن نابليون

وأخذه ، فالرحب على الاسكندرية والاستيلاء عليها . فاحد المذنب  
الساحلية الشمالية . فاسبا . البادة الرومانية على مصر . ومن الفصل  
الرابع والعشرين الى الثلاثين يتكلم المؤلف كلاما متصفا موضوعه  
حال الاسكندرية وقت الفتح . ومكتبتها المشهورة . وحريق هذه  
المكتبة المنسوب الى عمرو . وغزو عمر لعزة وطرابلس . والنظام  
الادارى الاسلامى الذى وضع لمصر عقب الفتح . ثم يتبع المؤلف  
هذه الفصول بملاحظات حق فيها . بصفة خاصة . شخصية المقوقس .  
والترتيب الزمنى لحوادث الفتح العربى . والكتاب الى جانب  
ذلك كله مزود بمخرائط ورسوم تعين على فهم موضوعه .

من هذا العرض العام يتبين القارى . أن المؤلف قد أحاط  
بموضوع الفتح العربى لمصر أتم الإحاطة . واستوعب وقائمه كل  
الاستيعاب . والحق أن الدكتور بئر قد جلا موضوعا من أوعر  
موضوعات التاريخ الاسلامى . وحل كثيرا من الغازه . أوضح  
شخصية المقوقس وكانت غامضة . ورتب حوادث الفتح ترتيبا  
أدق الى الصحة منه فى أى مصدر قديم . وأتى بالقول الفصل فى  
حريق مكتبة الاسكندرية . وبين وجه الخلاف القديم فى فتح  
مصر . أصلا كان أم غزوة ؟ على أن الكتاب يؤخذ بنقص  
جوهرى واحد . ذلك أن المؤلف عنى بالجانب السياسى والدينى  
فقط من حال مصر قبل الفتح وأغفل شئوننا الادارية والاقتصادية  
على ما كان لها من أثر قوى فى سهولة انتقال مصر من حكم  
الروم الى حكم العرب . ولقد ظهر فى هذا الموضوع فى العشرين  
سنة الاخيرة بحوث قيمة كنا نود لو أن الكتاب طبع طبعة ثانية  
تضمن نتائجها من هذه البحوث . والنظام المسمى لمصر البيزنطية  
لجان ماسيرو . وهى الادارة المدنية لمصر البيزنطية . تلخيص ديوبارد .  
ثم اتنا لا نوافق المؤلف على تصويره لتسارة عمرو على  
القيوم . فهو يرى أن عمرا عند ما بلغ رأس الدنا ورأى قلة من  
سعه من الجند . وخرج موقفه بين جنود الروم جنوبا وشمالا . أرسل  
الى الخليفة عمر بن الخطاب يستعده . ورأى فى الوقت نفسه أن  
يشغل جنده ويستقدم من الخطر ريثما يصل المدد . فتكلف عبور  
النيل الى شاطئه الشرقى . وأغار على القيوم ثم عاد فعبر النيل ثانية .  
فوجد المدد قد قدم من المدينة . لا شك أن هذه طريقة غريبة جدا  
فى الخلاص من المواقف العسكرية الحرجة . ثم هى لا تأتلف بحال  
مع ما عرف عن عمرو من شدة الدعاء وبعد المكيدة . يضاف الى  
ذلك أن المصادر العربية من حيث هيئة الغزوة نوعان : نوع لا  
يعرفها بالمرء . ونوع يعرفها . ولكن يوردها على صورة تجعلها أقرب  
الى المفعول من الصورة المذكورة . ومع ذلك لم يعتمد عليها المؤلف  
واكتفى بمحاكاة يوحنا التقيوسى بحجة أنه أقدم عهدا من كل المصادر

العربية . ولكن القدم وحده لا يكون دائما دليلا على صحة المصادر  
التاريخية . كذلك يؤخذ على المؤلف حكمه فى الفصل الحادى عشر  
بأن غزوة ثيوك المشهورة كانت فشلا . لأنهم تود الى ما كانت  
الرسول يرى اليه بها من معاداة الروم . والحق أنها أدت الى  
ما كان الذى يطمح يرمى اليه من شد سلطانه السياسى على شمال الحجاز .  
فبت ملاحظة بسيرة : لقد توهم المؤلف أن سيلة التى ظهر اليه  
( ص ١٣١ ) والصحيح أنه ظهر بالنيابة .

ومع ذلك فهذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية .  
وحسب القارى . أن يعلم أن الدكتور بئر قد أقام فى كتابه . تاريخ  
الفتح العربى لمصر على أساس على متين . وأنه الى الآن لم يظهر فى  
ذلك الموضوع كتاب آخر يدانيه . فضلا عن أن يفوقه .

أما الترجمة العربية لكتاب فتح العرب لمصر فأحب قبل كل شيء  
أن أهدى صديقى فريدا على توفيقه فيها أخلص التبعة . فقد جاءت صرورة  
صادقة للاصل مطابقة له فقرة فقرة رجلة جملة . هذا مع سهولة العبارة  
وسلاستها ووضوحها . مما يشهد للاستاذ فريد بالبراعة فى صناعة  
الترجمة . ولكن ليت شعرى أى مترجم . ولو كان الاستاذ فريد  
نفسه . يترجم زهاء الستمائة صفحة ثم لا يهنو قلبه ولا يحرف عن  
الاصل الذى ينقل عنه بمتة أو بسرة ؟ على هذا الاعتبار أهدى الى  
الاستاذ فريد هذه الملاحظات البسيطة .

جاء فى صفحة ٢٥ هذه العبارة ( الفدر اليسر ) وصوابها  
( الفز ) بالزاي المعجمة . وفى صفحة ٢٧ عرب اسم المشرق  
المشهور De goeje ب ( دى جويج ) وصوابه ( دى غويج )  
ووردت فى صفحة ٢٧ أيضا كلمة ( المونوفيسية ) وأحسن  
منها أن يقال ( المذهب البقوى ) . وجاء فى صفحة ١٢٣  
( هزيمة ثيوك ) بدلا من ( فشل غزوة ثيوك ) وهو المقابل  
للأصل . وفى صفحة ٨٣ ترجمت Theology ( بالثق ) وصوابها  
( اللاهوت ) . وجاء فى صفحة ٢١٨ ( ثيود الزبير الى الحصن )  
والصواب أن يحذف حرف الجر . وفى صفحة ٢٢٨ ترجمت  
Drawbridges ب ( قناطر ) وأصح من ذلك ( جسور )  
لان الحرف جرى بأطلاق اللفظ الاول على البناء الثابت الذى  
يعتمد فوق الانهار وهو غير المراد من اللفظ الانجليزى . وجاء فى  
صفحة ٢٥٥ ( وكانت سلطة المدينة ) بدلا من ( وكانت خامية  
المدينة ) . وفى صفحة ٤٠٦ ( وقال عنه النواوى ) وصوابه  
( النورى ) بدون ألف المد .

على أن هذه الملاحظات ايضا لا تضر الترجمة شيئا . وإذا كان  
الكتاب مثالا يحتذى من حيث دقة البحث العلمى . فترجمت  
العربية مثال يسجل على مثوله من حيث أمانة النقل وحملة التريب ؟



## ضحى الاسلام

ما كان لي أن أقف مع الذين يشحنون عن الأستاذ المحقق، أحمد أمين، ولا أن أسام في الكلام عن علمه ومؤلفاته. لأن ذلك شأن لا يصطلع به إلا كبار أهل العلم والفضل ليكون لكلامهم من القبة ما يكافئ مكانة هذا العالم الكبير. ولكني وأنا أطلب العلم والأدب وأدرسهما منذ ربع قرن (وما زلت بعد في سبيل) أجد لزاماً علي وقد قرأت كتابه المتبحر - ضحى الاسلام - أن أبين في كلمة صغيرة لأخواني طلاب الأدب والعلم ومن يكون بدراسة مقدار ما أحدث من هذا الكتاب ومدى اتقاعى به.

أحدث هذا الكتاب يوم صدوره أخذ المشوق للبهان، لأنني كنت أرغب صدوره بعد أن بزغ (الجزء) من زمن غير قليل، ولم ألبث أن عكفت على قراءته عكوفاً لم أدع منه النفس أن تتطلع إلى شيء غيره من متاع الحياة حتى انتهت منه. وفي الحق أني لا أستطيع أن أصف وصفاً دقيقاً مقدار ما استمتعت به من هذا الكتاب. ولا أن أصور تصويراً صادقاً يبلغ مائة من علم وبحث، ولكني لو أردت أن أصف أمراً بعد أن فرغت من قراءته في عبارة صغيرة نقلت: إلى على كثير ما قرأت من كتب العلم والأدب لم أجد من كتاب مثل ما أفدت من هذا الكتاب. فقد كشف عن الحياة العقلية الإسلامية في القرن الثاني للهجرة بما لم يكن معروفاً مثله لأحد. فظهرت أشياء لم تكن تعرف من قبل. ووضحت أمور كانت غامضة أو مبهمه. وصححت مسائل كان الناس يعلون سبأ غير الذي حققه بحوثه العميقة عالمنا الجليل.

ولقد شهدت في هذا الكتاب المتبحر كيف سارت حياة الاسلام في الحقبة التي أرخت فيه. وتنورت على هدى تحقيقه ما أثر في هذه الحياة من مختلف النواحي وما تأثرت به هذه النواحي. حتى لكنت أحسب وأنا أدرس هذا الكتاب أن الحياة العقلية الإسلامية قد صورت تصويراً صادقاً على لوحة السنما بحيث لا يخفى منها شيء. ولا يحتاج معها وجه.

وإني لأقرر في صراحة أني بعد أن قرأت كتابي (بحر الاسلام وضحاها) قد تغير رأيي في كثير من أمور ديننا الحنيف كنت فم منها من بعض كتب العلم، وأصبحت بذلك

مضطراً إلى أن أعود إلى هذه الكتب لأقرأها ثانية حتى أفيها على حقيقته.

هذا بعض ما أخذته من كتاب - ضحى الاسلام - بقدر (فريحتي وفهمي) أنشره وأؤذن بصوت الحق أن هذا الكتاب الفريد تحب دراسته على الأدب والعالم والدين والمؤرخ وجوياً جزى الله عالمنا الجليل لقاءه من نعمه وتحقق في سبيل العلم خير الجزاء. وأعانه على إتمام ما اقتدب له من خدمة العلم أنه صبح الدعاء.

محمود أبو ربه

## الهيام

### لجبد الرحيم مصطفى قليات

هذا الكتاب ديوان شعر. وعنوانه (الهيام) قد يتدع القاري. لأول وهلة. فيحب أن الديوان أكثره أو كله نيب. والحقيقة أن العنوان مقتبس من الآية (ألَمْ نُنمِّمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِينٍ) وقد قام هذا الشاعر في أروية كثيرة. والكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة هذا (الهيام). وأشعار الكتاب مقبسة إلى خمسة أبواب: الأول: في الدين والأخلاق: الثاني: في الثقافة والاجتماع: الثالث: في تهذيب المرأة وتحسينها: والرابع: في الفكاهة: والخامس: وهو أطول الأبواب جميعاً. في الأناشيد. ومنه يتبين للقاري أن المؤلف لم يدع حياة من الهيات في بلده إلا عليها كيف تنفخ بأعمالها وشئها. وكثير من هذه الأناشيد يصحبه توقيعه مكتوباً بالعلامات الموسيقية. وسيسر المصريون إذ يرون هذا الشاعر السورى الفاضل قد ختم الكتاب بشيد جميل (دمعة على سعد) ومنه لحنه، ولم يتح لنا بعد أن نسمع توقيعه.

وقد أعجبت في الكتاب كله تلك الروح الدينية والوطنية الخلقية العالية التي يحسها القاري. في كل صفحة من صفحاته. وقد عالج المؤلف عدة مواضع من الأهمية مكان. ولكن يغلب اليأس الشاعر يكتب بسرعة ومكثرة هائلة لا تسمح له بتفتيح شعره واختيار عباراته وألفاظه. وليس من شك في أنه لو تأني وتربث لأنى بشعر جليل. وهو أحسن ما يكون حين يفهم علينا قصة وسيسر القاري. من القسم المكافئ. وقد أعجبت منه بتوسع خاص فطمته البديعة (لبلة القدر). ومن أجل هذه القطعة وحدها يستحق الكتاب أن يقتنى.

٢٠٠٢